أجاثا كريستي

بصمات الأصابع

Bibliotheca Alexandrina
0146745

المكتبة الثقافية
بيروت - لبنان

بصمات الأصابع

أجاثا كريستي

بصمات الأصابع

المكتبة الثقافية
بيروت - لبنان

- ١ -

لا زلت اذكر تلك الليلة الرهيبـة ، التي اكتشفت فيها جثتا القتيلين ، وهي ليلة شديدة القيظ من شهر يونيه لعدة أعوام خلت .. فقد اقترن ذلك الحادث المروع بمأساة أخرى لا تقــل هولاً .. إذ بينما كانت ترتكب في نيويورك هذه الجريمة المزدوجة الفظيعة، كانت الباخرة العظيمة (أوكسجين) تغرق تجاه ساحل فلوريدا وتجر معها الى اليم مئات من ركابها المنكودين .

كنت وقتئذ اعمل سكرتيراً خاصاً لشاتشر كولت المدير العام لبوليس نيويورك .. وفي تلك الليـلة جلست في مكتبه بادارة الشرطة لأتم كتابة التقرير الذي يريد تقديمه في مؤتمر رؤساء البوليس المزمع عقده في الغداة بمدينة سيراكوزا ، وقد ران علينا صمت ثقيل زاده القيظ الخانق وطأة ، صمت لا يعكره سوى دقات آلتي الكتابة الرتيبة المملة ..

وما كدت أفرغ من عملي واتنفس الصعداء ، حتى فتـح الباب وتسلل منه الكابتن هنري ، السكرتير العسكري للرئيس ، وقدم نحوه قائلاً :

– معذرة يا سيدي ، فقد تلقيت الآن نبأ تليفونياً من أحد رجالنا عن اكتشاف جثته بزورق صغير في ايست ريفر .

– أهما الاثنين من رجال العصابات ؟

– كلا .. فاحدى الضحيتين امرأة شابة .. أما رفيقها في هـذا المصير التعس فيرتدي ثياب القساوسة .

– يا للشيطان ! انها جريمة قتل اذن .

وأغمض كولت عينيه واستغرق في التفكير ، فأدركت ان التردد يعتمل في نفسه ، إذ كان على وشك الرحيل في أول اجازة بعد عامين من العمل المتواصل المرهق ، ويزمع أن يقضي شهراً على ساحل البحر ، على أثر انتهاء أعمال المؤتمر .

وأخيراً ندّ عن صدره تنهد عميق ، وما لبث ان نظر اليّ مبتسما وهو يقول :

— أخشى يا عزيزي توني ان تضطر الى وداع اجازتك ، مثلي .

فلم أزد على ان تنهدت بدوري حسرة بينما استطرد كولت يسأل الكابتن هنري :

— كيف اكتشفت الجثتان ؟

— يبدو ان زورقاً بخاريا كان يعبر النهر في الظلام فارتطم بهذا القارب ثم لم يلبث قائد الزورق ان راح يستغيث بصوت عال فسمعته إحدى سفن الداورية واسرعت نحوه حيث وجدت القارب بغير قائد ، والجثتين في قاعة ، وقد سحبته إلى الشاطىء حيث يرسو الآن أمــام معرض الجثث الجديد بمستشفى بلفي .

وبعــد أن املى على كولت برقية الى المؤتمر يعتذر فيهــا عن الحضور تناول قبعته وأشار الي ان أتبعه ، وهو يقول للكابتن :

— سوف يبلغك مستر أبوت تعلمياتي تلفونياً .

ولم تمض لحظة حتى كانت سيارة البوليس تنهب بنا الأرض نهباً حتى بلغنا مستشفى بلفي فهبط منها كولت وسار نحو الشاطىء فتبعته وأنا أتأمل سطح النهر بأمواجــه المتراقصة المتألقة وهي تعكس الأضواء المنتشرة على الضفتين .

وتقدم أحد رجال الشرطة نحونا ، فأمره الرئيس ان يقص علينا تفاصيل الحادث فقال : كان ذلك منذ نصف ساعة تقريباً ، فبينما كان فتى يدعى توبسل وصديقة له يتنزهان بزورقهما البخاري إذ ارتطما بقارب صغير يدفعه التيار ولا يقوده أحد . وما ان ألقت الفتاة نظرة الى قــاع القارب حتى انبعثت منها صيحات الاستغاثةوسقطت مغشياً عليها ، على حين ظل رفيقها يهذي كمن به مس من الجنون حتى أدركته سفينته الداورية وقادت الزورق والقارب الى الشاطىء .

– واين هذان العاشقان ؟

– كانت حالة الفتاة تدعو الى العناية فحملت إلى المستشفى ، وهي الآن هناك مع صديقها في حراسة أحد الزملاء .

فاشعل كولت غليونه وطلب الى الشرطي ان يقوده الى القارب ، ومن ثم مضينا الى الشاطىء حيث تبينا في الظلام زورقا أحمر اللون هو « زورق الأحلام » الذي كان يستقله توسيل الصغير وصديقته ، وإلى جواره سفينة البوليس الكبيرة .

واشعل كولت مصباحه الكهربائي وهبط الدرج الحجري المؤدي الى الماء ، وعندئذ بدأ لنا منظر بشع مروع ، هو منظر الجثتين المتجاورتين في قاع قارب صغير مطلي باللون الأخضر .

كان الرجل قصير القامة يميل الى البدانة ولا تبــدو عليه أنه جاوز الثلاثين من العمر ، وكان وجهه الحليق مستديراً وعيناه مفتوحتين تنبضان بالحياة ، وفي جبهته العريضة ثقب مستدير سالت منه الدمـاء على وجنتيه وشعره الأشقر الغزير وبنيقته البيضاء الناصعة وصديريته السوداء الكهنوتية والى جواره رقدت المرأة كأنها مستغرقة في نوم عميق . وكانت في مقتبل العمر رائعة الجمال ، ذات غدائر جميلة كستنائية تحيط بها شرائط من الحرير الأزرق ، وكانت تلوث ثوبها الحريري الأزرق ، بقعة كبيرة من الدماء تحت

الثدي الأيسر تنم على ان الرصاصة القاتلة قد أصابت القلب مباشرة ، ولم نلاحظ ذلك لأول وهلة ، إذ صدمنا المنظر ببشاعته ؟ فكأنما لم يرو ظمأ القاتل ان تقضي رصاصة واحدة على ضحيته : فتناول سلاحاً قاطعاً شديد المضاء وذبح به الفتاة المنكودة حتى كاد يفصل الرأس عن العنق ، ومع أنني قد خدمت في الحرب العظمى في فرنسا ، ثم عملت سكرتيراً لكولت ورأيت الكثير من المناظر المروعة إلا أنني لن انسي قط ما رأيته في تلك الليلة .

وظل تاتشر كولت لحظة طويلة يتأمل الجثتين ثم مد ذراعه فلمس يد المرأة القتيل وهو يسأل : ألم تعرف شخصية هذين التعسين ؟

— كلا يا سيدي . فقد تركنا كل شيء على حاله دون ان نمسه انتظاراً لمقدمك .

فتحول كولت نحوي وهو يقول :

— ان أمامك يا توني جثمان كاهن ابرشية غنية ، كما يبدو من أناقة ثوبه الكهنوتي وجودة نوعه ، واني لعلى يقين من ان الجريمة ارتكبت فوق الشاطىء ثم نقلت الجثتان الى القارب ، ولا يمكن ان يكون قد مضى على ذلك اكثر من ثلاث ساعات ، فأما يد المرأة لا تزال دافئة الى حد ما،رغم تعرضها لرطوبة النهر ، آه ! صه !

ورفع اصبعه الى فمه محذراً وهو يمد يده مشيراً فنظرت في اتجاهها ، وإذا بي أرى شبحاً صغيراً يتحرك في مقدمة القارب الأخضر ، فامسكت بأحد الاعمدة ثم انحنيت الى الامام أنعم النظر في هذا الشبح الدقيق لأتبين كنهه ، وأنا في عجب مما عساه يتحرك ويعيش مع هاتين الجثتين حتى أدركت الحقيقة بغتة من المواء الحاد الذي انبعث فجأة ومن البريق الفوسفوري الذي ترسله عينان مستديرتان متوهجتان ، فقد كانت تحرس الجثتين في القارب هرة متوسطة الحجم، مما زاد في بشاعة المنظر ، وتواردت

الاسئلة في خاطري ، ترى لمن هذه الهرة ؟ أهي للقاتل ، أم لاحــدى الضحيتين ؟ وكيف وجدت معهما في القارب ؟

واخرجني من ذهولي صوت كولت وهو يدعو حارس النهر ويطلب اليه أن يحضر شبكة مما يستعمل في صيد السمك ، وسرعان ما جيء بها ، فلم تمض دقائق حتى كانت الهرة تتخبط فيها وقد ثارت ثائرتها واشتد مواؤها بعد ان لقي الشرطي في الامساك بها عناء أي عناء .. ورفع الرجل صيده عالياً حتى استطعت أن أمسك بها في قوة بين يدي ليراها كولت جيداً .. فراح يفحصها على ضوء مصباحه الكهربائي وهو يتمتم كأنه يحــدث نفسه :

— يا لك من شاهد عجيب غير مألوف في القضايا الجنائية ايها الحيوان الصغير المسكين !! ولكنك لن تستطيع ان تقص علينا كيف حدث مــا حدث ، ومن يدري فلعلك مثلي لا تعرف من الأمر شيئاً ، هلا رفعته قليلاً يا توني ؟

ومضى كولت يفحص كل جزء في الهرة ، من أذنيهــا ، ورأسها ، وجسمها حتى اقدامها ، وعندئذ هتف :

— آه !.. أن على أكفك آثار دماء يا صغيرتي ، ولكن ذلك الجميل ، وشاربك العظيم خاليان منها ، توني ، انك تمسك بين يديك بشاهد عيان الجريمة .

ثم تحول نحو السرجنت كارتر فأمره بأن يحضر أحد الاقفاص ويضع الهرة بداخله ، في مكان أمين حتى يطلبها منه ثانية .

وبينما كان الرجل يقوم بهذه المهمة استغرق كولت في التفكير وهو ينفث دخان غليونه في قوة ، حتى إذا ما عاد كارتر التفت نحوه قائلاً :

— لقد رأيت أثناء قدومي الآن رافعة بحارية كبيرة عند ملتقى الشارع

التاسع والعشرين بالطريق المؤدية الى المستشفى ، وأود أن تحضرها الى هنا سريعاً لأن كل دقيقة تمر تعد كسباً للقاتل .

فلما أسرع السرجنت لتنفيذ هذا الأمر التفت كولت نحوي قائلاً :

— ان ادق التفاصيل يا توني قد يكون ذا أثر حاسم في القضية ، واني أريد أن أفحص كل شيء في هذا القارب قبل ان نرفع الجثتان منه .

ولم تمض بضع دقائق حتى سمعنا هدير الآلة الرافعة البخارية وهي قادمة نحونا بعمالها جميعاً، وسرعان ما أملى كولت أوامره ، وهي أن يرفع القارب من النهر في حيطة حتى تظل الجثتان بوضعها الحالي .

فكان العمل شاقاً مضنياً ، حتى كاد القارب يفلت من السلاسل الضخمة التي أحيط بها ، وأخيراً رفع من النهر والماء يقطر من قاعه حتى وضع على الشاطىء فأمر كولت بأن يحمله الرجال حملاً وئيداً الى قاعة استقبال الجثث بالمعرض المجاور .

ومضيت مع كولت نسبق الرجال وحملهم الرهيب ، حتى إذا ما بلغنا تلك القاعة الفسيحة ذات الجدران الملساء القاتمة ، رأينا ثلاثة من موظفي المعرض قدم اليهم كونت نفسه وطلب اليهم احضار شمعة وبعض المساند الخشبية الصغيرة لتثبت القارب فوق أرض القاعة ، كما طلب اليهم اضاءة جميع الأنوار .

وما هي إلا هنيهة حتى جاء الحمالون يترنحون تحت حملهم الثقيل فوضعوه في منتصف القاعة وثبتوه بالمساند الخشبية التي جاء بها موظفو المعرض . وفي الضوء الباهر الذي انبعث من الأنابيب الكهربائية القوية ، بدأ القارب وراكباه المنكودان يحدقان في السقف بعيونها الزجاجية الواسعة ، كأنما هو مشهد رهيب مما يعرض في متاحف الشمع .

وأمر كولت السرجنت كارتر بأن يتصل بادارة الشرطة تليفونياً لارسال الرجال الاخصائيين ، وكذلك الدكتور مولتولر الطبيب الشرعي .

فلما لم يبق معه بالقاعة سواي ، اشعل كولت غليونه ، واقترب من القارب وهو يقول : انها قضية معقدة يا توني ، وينبغي بادىء ذي بدء أن نعرف اسمي الضحيتين ، ومحل اقامتهما ، وكل شيء عن حياتهما ، وعلينا بعد ذلك ان نحدد مكان ارتكاب الجريمة ، ونهتدي الى القاتل .

ثم مضى ينطق بخواطره بصوت مرتفع . على عادته ، بينما أخرجت مفكرتي وبدأت أدون ما يقوله بطريقة الاختزال .

– يا له من قارب عجيب ! انظر يا توني ، أنه لا يحوي الا مقعداً وحيداً ، وليست له دفة أو مجاذيف ، ويخيل الي أنه لم يصنع إلا للغرض الفظيع الذي استخدم فيه، ولكنني موقن من أن هذا القارب يقوم برحلته الأولى فان حشو شقوقه لا يزال جديداً ، كما ان طلاءه ، ليس فيه خدش واحد ، ولنبدأ الآن بفحص هذين التعسين اللذين لا نعرف عنهما شيئاً ، ان المرأة يا توني باهرة الحسن ، ولا ريب انها كانت مولعة بالزينة والحلى ، فها هو عقدها من العنبر الخالص ، وسوارها محلى بماسات حقيقية ولو انها متوسطة القيمة ، ولكن قرطها من الماس الجيد ، إذن فالسرقة ليست الباعث على الجريمة .. آه ! .. أن إحدى اذنيها خالية من فردة القرط ترى اين هي ؟

وراح كولت ينقب في القارب دون ان يعثر على فردة القرط الأخرى، التي تبينا فيما بعد أنها كانت في مكان آخر ، وأخيراً عاد الى فحصه فأمسك بيد المرأة ، فوجد أصابعها لا تزال مرنة لينة مما يثبت ان الوفاة لم يمض عليها أكثر من ست ساعات بحال من الأحوال .. وعاد يتشمم الأيدي الأربعة في قوة ، وهو يتمتم :

– انها خلو من رائحة البارود يا توني فليس في الأمر إذن انتحار مزدوج ثم من الذي نقل الجثتين الى القارب ؟

ووجد في سوار المرأة مدلاة صغيرة من الذهب نقش عليها رقم١٣ ، فقال :

– يا للمخلوقة المسكينة ! انها كانت تتعلق بالاوهام والخرافات ، وتعلق اهمية كبيرة على رقم ١٣ .. آه ! اترى ثيابها الداخلية يا توني ؟ انها من الحرير الفاخر ويخيل إلي انها جديدة كل الجدة ، فلماذا ؟ ان ذلك يمكن تأويله تأويلاً رهيباً يا بني .

وحول كولت انتباهه نحو الجثة الأخرى ، مغمغما :

– ان رجال الدين يعدون يوم الأثنين يوم راحتهم الاسبوعية ، ولا ريب ان هذا المنكود كان قد أعد مشروعاً للاستمتاع براحته في رفقة سعيدة .. وإذا صح حدسي يا توني فانه قد قص شعره اليوم فقط ، فهناك بعض شعيرات صغيرة ملتصقة خلف اذنه .. كما ان ثيابه ناطقة بحسن هندامه ، فثنية السراويل ناهضة كحد السيف ، وبنيقته لم تزحزح من مكانها قلامة ظفر ، وهذا النظام البادي في ثياب الضحيتين يدل دلالة قاطعة على استبعاد فكرة النضال والمقاومة ، وذلك يثير في نفسي حيرة كبيرة ، لأن الرجل أصيب بالرصاصة في جبهته عن قرب ، فكيف لم يحاول الدفاع عن نفسه ؟

ورفع كولت رأسه ريثما اشعل غليونه ، ثم استطرد :

– أترى هذه الدائرة الحمراء التي تحيط برسغه الأيسر ؟ لا ريب ان القتيل كان يلبس ساعة ذات سوار ضيق ، فاين هي ؟ سوف نأخذ صورة لهذا الأثر الهام عند حضور رجالنا .

وراح كولت يفتش القبس ملياً ، وكانت جيوب سترته خالية ، أما الجيب الأيمن لسراويله فكان يحوي لفافة من الأوراق المالية ، مما أثار عجبي فقلت :

– عجيب ان يسلبه القاتل ساعته ومفاتيحه ، ثم يدع هذا المبلغ الكبير ..

– نعم .. ويدع ايضاً حلى رفيقته ، وهي اثمن قيمة .. ان هذا كله يحتاج الى المزيد من التأمل يا عزيزي .. هذا المبلغ الكبير .

ولم يتم كولت عبارته إذ كان قد وضع يده في الجيب الخلفي فأخرج منه من الورق عليها كتابة بالمداد .. وكانت جزءاً ممزقـاً من خطاب رحت اقرأه من فوق كتفي كولت في الوقت نفسه ، فاذا به يجري كما يلي :

« لقد فكرت طويلاً في الأمر الذي ناقشناه سويا يا عزيزتي ايفلين .. فكرت فيه في وحدتي ، وفي صلواتي ، دون ان أصل إلى قرار ، إذ إنني أدرك حق الادراك واجب كل منا. واجبك حيال زوجك وابنتك، وواجبي حيال زوجتي وربيّ الرحيم الذي يقرأ ما في ضمائرنا كأنها كتاب مفتوح ، ويغفر لنا ضعفنا .. ولكنه سبحانه ارحم كتاب مفتوح، ويغفر لنا ضعفنا ولكنه سبحانه ارحم من ان يقتضينا تلك التضحية التى تفوق طاقة البشر، بأن نضحي بحبنا العظيم .

كلا.. انني لن اطيق هذه التضحية حتى ولو نبذنا الناس جميعاً واستنزلوا علينا اللعنة والغضب ، وحتى لو فتحت امامنا الجحيم على مصراعيها ثم اغلقت وراءنا لنخلد فيها ابداً .. فانني سوف اقول واردد دائماً : كلا .. والف مرة كلا ..

اما الاعتراض الذي اثرته ، وهو هل من حقنا ان نسبب الما لمن يحيطون بنا فانني ارد عليه بشيء واحد ، فهل عني هؤلاء بسعادتنا او شقائنا في يوم من الايام ؟ هؤلاء الذين تخشين اليوم ان نسبب لهم حزنا او كمدا ؟ كلا. اليس كذلك ؟ اذن .

إذن تعالي يا حبيبتي الى لقائي في مكاننا المألوف حتى نحقق مشروعنا العظيم ، واذكري ان السعادة التي سوف نلقاها مما اعظم قدرا من .. »

والى هنا انتهت تلك القطعة من هذا الخطاب الغرامي الحار الملتهب ، وعبثاً رحنا نبحث عن قطعة اخرى منه ، حتى قال كولت اخيراً :

ـ لا بأس يا عزيزي توني .. لقد علمنا الآن ان كلا من هذين التعسين كان متزوجاً وانهما كانا عشيقين .. وهو امر مروع في حد ذاته بالنسبة

لأحـد رجال الدين .. ولكني اتساءل اين ذهبت ساعته وخاتم زواجه ؟ فهناك دائرة حمراء أخرى في بنصر اليد اليسرى ، واني أراهن على ان القس القتيل كان يضع خاتم زفاف في أصبعه نزع منه مع الساعة في الوقت نفسه. ولكن لماذا ؟ هذا ما ينبغي معرفته يا عزيزي ، وقـد تأكدنا الآن من ان للرجل زوجة شرعية ، وان المرأة خلفت وراءها زوجاً وابنة ، كما تأكدنا من أن في الأمر جريمة قتل ، ولم يبق إلا أن ننتقم لهذين التعسين .

فقلت : وكيف جزمت ايها الرئيس بأنهما قد وضعا في القـارب جثتين هامدتين ؟

— انظر إلى عنق المرأة تر الشريان مقطوعاً مما يسبب نزيفاً دموياً هائلاً. ولكن القارب خلو من أي أثر للدماء ، ومن ثم ترى ان الجثتين عندمـــا وضعتا في القارب كانتا هامدتين وقد مضى وقت على الوفاة .

وناولني كولت الخطاب الغرامي لأضعه في حافظة الأوراق ، فلما رفعت رأسي وجدته مكباً على القارب يحاول ان يستخرج شيئاً من قاعه. وعندما استوى قائماً رأيت على وجهه علائم البشر والارتياح وهو يهتف :

— ان العناية الالهية معنا يا بني .

ثم اقترب من أحد المصابيح ليفحص ما وجده فتقدمت نحوه وما كان اشد عجبي عندما رايت ان هذا الكنز العظيم لم يكن سوى ورقـة صغيرة من ورق الشجر يضعها فوق راحته المكتنزة ينظر اليها بعينين متألقتين .

— أتعلم أي أنواع الأشجار له هذه الاوراق يا توني ؟

— كلا يا سيدي ..

— ولا أنا .. مع انني أعرف جميع الأنواع المألوفة .

— ولكن .. لست أدري كيف تجعلنا هذه الورقة نتقدم في طريقنا ؟

— بل اننا بفضلها قد نستطيع القبض على القاتل قبل الصباح .. والآن أصغ الي ، لقد رأيت آلة تليفون في مكتب ملاحظ المرضى فأطلب رقم

١٠٩٤٢ ريفر سايد ، وأخبر مستر ليدر اخصائي النباتات انني أريد أن أراه في الحال ، واطلب منه أن يحدد موعداً للقاء في خلال نصف ساعة .

فلما هممت بالأسراع لقضاء هذه المهمة استوقفني كولت قائلاً :

– مهلاً ، فلم أتم أوامري بعـــد ، عليك بعد ذلك ان تتصل بالمركز الرئيسي لتعلم إذا كان مكتب الاستعلامات قد تلقى أي نبأ عن اختفاء أحد القساوسة البروتستانت .. وإذا كان الجواب سلباً – وهو مـا اعتقده إذ لم تمض ساعة ونصف على اكتشاف الحادث – فمرهم بأن يستخرجوا عنـاوين جميع الكنائس من دليل التليفون ، ثم يبلغوها إلى جنود الداوريات جميعاً ليذهب كل منهم الى كنائس منطقته فيسأل ان كان الاب المحترم في منزله ، فينبغي ان نعرف خلال ساعة واحدة اسم القتيل .

- ٢ -

اتصلت باخصائي النباتات فوعدني بانتظار الرئيس في مكتبه بعد ثلاثة أرباع الساعة ، ثم اتصلت بالمركز الرئيسي وابلغت أوامر كولت الكابتن هنري ، وهكذا انطلق رجال البوليس في انحاء نيويورك جميعاً تلك الليلة الخالدة يطرقون أبواب الكنائس وعددها لا يقل عن المائة ، للسؤال عما إذا كان القس موجودا بمسكنه ؟

فلما عدت الى القاعة ، وجدتها تموج برجالنا وقد بدأوا عملهم . فها هو فريد ميركل المصور الفوتوغرافي ، وويليامز خبير تحقيق الشخصية ، والدكتور مولتولر الطبيب الشرعي — وكان يفحص الجثتين فحصاً مبدئياً — ثم كبير المفتشين فيجلي ، والمفتش لنجل مساعده ، وكان كولت واقفاً مع تلك الشخصية المحبوبة الذائعة الصيت ، مستر ميرل دوجرتي ، وكيل نيابة المنطقة ، والصديق القديم لتاتشر كولت وقد وقف متململاً ، والعرق ينضح من وجهه المكتنز المستدير فلا يبالي ان يجففه .

فلما اقتربت منهما سمعت دوجرتي يسأل الرئيس ان كان قد فحص ثياب القتيلين الداخلية قائلاً :

— لأن المعلومات الخاصة بمحلات الغسيل في نيويورك كلها محفوظة بالمكتب الرئيسي ، أليس كذلك يا تاتشر ؟

— بلى .. ولكن من سوء الحظ ان كلا القتيلين يرتدي ثيابا جديدة لم تغسل قط .

فانتفض وكيل النيابة وصاح : آه ! الا ترى ذلك عجيباً ؟

– بلا ريب ، انه مثير للدهشة .

وتحول الرئيس نحوي وسألني عما إذا كنت قد اتصلت بالمركز الرئيسي، فأدركت أنه يريدني على الا أذكر شيئاً عن اخصائي النبات وعن ورقة الشجر . فلما رويت له حديثي مع الكابتن هنري ، صاح دوجرتي وهو يرمقني بنظرة اطراء :

– مرحى .. مرحى .. انني اشعر يا ثاتشر ان تحقيق هذه القضية سيتم على خير وجه يا صديقي .. وفي رأيي ان اول ما ينبغي عمله . هو ان نبادر بسؤال تويل وصديقته الحسناء . ما داما أول من رأى القارب .

ففكر كولت لحظة ، ثم أحنى رأسه وقال :

انها فكرة صائبة يا عزيزي دوجرتي .. فهل لك ان تتولى سؤال هذين الشاهدين ريثما اشتغل ببعض المهام العادية ؟

– حسنا .. ولكن اين ومتى نتقابل ثانية ؟

– في الساعة الثالثة صباحاً ، بمنزلي إذا لم يكن في ذلك ما يضايقك . وهناك يمكننا ان نرسم خطة العمل .

فلما انصرف وكيل النيابة ومعه أحد المفتشين ، القى كولت تعليماته الى الى فيجلي ولتجل ، ثم أردف : سوف أظل على اتصال بالمكتب الرئيسي كل نصف ساعة ، واذا أخطر أحد رجال الشرطة عن غياب أحد القساوسة فلا تتخذوا أي اجراء قبل الاتصال بي . كما أرجو ان تجتمعوا في منزلي في الساعة الثالثة ، أي بعد ساعة .

والتفت نحوي بعد ذلك فطلب مني ان أحضر الهرة ، فجيء بالقفص الذي حبست بداخله وعندئذ استدعى كولت خبير البصمات ، ويليامز ، وأمره بأن يأخذ بصمات اقدام الهرة .

واستقبل هذا الأمر الغريب بصمت عميق ، دون ان يجرؤ أحـــد على الاعتراض او التساؤل، ولو ان الدهشة كانت بادية في عيون الجميع، وسرعان ما جاء ويليامز بمعداته ، وبعد لحظة كانت بصمات أكف الحرة الأربعــة مطبوعة على (الفيش) فأمرني كولت بأن أضمه في حافظة الأوراق مع الخطاب الغرامي ..

وما كاد ميركل يفرغ من تصوير الدوائر الحمراء حول معصم القتيـل وبنصره حتى أمر الرئيس بنقل الجثتين الى المشرحة على ان يوافيه الدكتور مولتولر بتقريره حالما يفرغ منه .

وبعد دقائق كنا نستقل السيارة معا، ولبثت صامتة برهة أقاوم الفصول حتى لم استطع معه صبراً فسألته :

— ما الذي جعلك تجزم ان الجريمة ارتكبت في مكان مـا على شاطىء النهر يا سيدي الرئيس ؟

— ان مجرد استخدام القاتل لهذا القارب لابعاد الجثتين عن مسرح الجريمة يضعنا أمام أحد احتمالين ، فأما أن القارب كان يرسو عند الشاطىء انتظاراً لهذه المهمة البشعة ، وهو ما لا اعتقده ، لان ذلك يستلفت الانظار ، وقد يشهد بعض المارة برؤيته .. وأما أن يكون القارب قد أخفي بقرب الشاطىء في قبو أو كهف أو مـا شابه ذلك حيث وضعت فيه الجثتان واقتيـد الى النهر .. واني اجزم بذلك لانه لا يمكن ان يكون القاتل من الغفـلة بحيث ينقـــل الجثتين على قـارب في شارع نيويورك ليصل إلى النهر فيسترعي الانظار .

وبلغت بنا السيارة دار البلدية حيث كان المستر ليدر اخصائي النباتات في انتظارنا وبعد التحيات المألوفة قدم له كولت ورقة الشجرة وسأله عنها ، فقال :

ـ انها من شجرة واسعة الانتشار تدعى (شجرة السماء) وفي نيويورك عدد كبير منها على الرغم من اننا أشهرنا عليها حربا لا هوادة فيها لان البعوض يأوى اليها .

ـ ألا يزال باقياً شيء منها هنا ؟

ـ بلى .. لدينا آلاف عديدة منها هنا .

فرمقتني كولت بنظرة سريعة ملأى باليأس والاسى ، إذ كان رجاؤه الوحيد للوصول الى مسرح الجريمة هو العثور على الشجرة التي شاء القدر ان تسقط إحدى أوراقها في القارب المشؤوم ، وبعد ان أشعل غليونه قال في وجوم !

ـ الا يمكنك يا مستر ليدر ان تخبرني هل يوجد كثير من هذه الشجرة في حي مانهاتان ، على الشاطىء الشرقي للنهر ؟

ـ انها نادرة في تلك المنطقة يا مستر كولت ، فلا توجد إلا في ثلاث جهات فقط على طول الشاطىء الشرقي ، اولها حديقة خاصة لمنزل في الشارع الثاني عشر بعد المائة ، وثانيها متنزه كارل شورز ، وهو حديقة عامة أمام مجموعة من المساكن بالشارع الاول ، يطلق عليها اسم سانجستر تراس ، وهناك تمتد الاشجار حتى الشاطىء نفسه .

فأمسك كولت بذراعي في عنف وهو يقول :

ـ ذلك أصلح مكان لارتكاب الجريمة يا توني .

وتمتم يشكر ليدر ببضع كلمات قليلة ثم اندفع يهبط الدرج في عجلة ويثب داخل السيارة وهو يصيح بالسائق ان يذهب بنا الى سانجستر تراس ، وسرعان ما بلغنا غايتنا ، فاذا بنا أمام صف من المنازل القديمة طليت ابوابها بالالوان الزاهية الخضراء والحمراء وغيرها على عادة ذلك العصر ، وكل منها يحمل رقما نحاسياً ، وكانت المساكن جميعها مظلمة موصدة النوافذ تبدو

مقفرة هجرها اصحابها ، وكان قلبي يهبط من فرط اللفة ، فهل ترانا نسير في الطريق المؤدي الى الحقيقة ؟

وأمر كولت السائق ان يدعو الحارس الليلي، فجاء به بعد لحظة، وكان يدعي كراوس ، فسأله كولت :

ــ هل كل شيء علي ما يرام الليلة يا كراوس ؟

ــ الليلة وكل ليلة يا مستر كولت ، خصوصاً في موسم الاجازات حيث يذهب السكان جميعاً الى مصايفهم .

ــ هل تقوم بالحراسة وحدك ؟ وهل تعني بالحديقة ايضاً ؟

ــ اننا اثنان نتناول الحراسة وخدمة الحديقة .

ــ هلا توجد هنا واحدة من « أشجار السماء » ؟

ــ بلى .. وهي مثار متاعبنا لكثرة ما يعشش فيها من الحشرات .

فاشعل كولت غليونه في تؤدة ثم قال :

ــ في أية ساعة بدأت نوبتك في الحراسة ليلة امس يا كراوبس ؟

ــ في الساعة السادسة يا مستر كولت ، ولكن ما الذي حدث ؟

فلم يجبه الرئيس وأنما اشار الى السائق ان يتصل بالمركز الرئيسي تليفونيا ليسأل هل من جديد ثم يلحق بنا في الحديقة .

وبعد لحظات كان الحارث يقودنا في تلك الجنة الفيحاء التي انتشرت فيها الاشجار والزهور فوق بساط من العشب الاخضر السميك حتى شاطىء النهر ، ليرينا موضع شجرة السماء، وما ان وقعت انظارنا عليها حتى شهقت إذ تبينت في اوراقها نفس الورقة التي عثرنا عليها في القارب . بينما ركع كولت بجوارها وراح يفحص العشب على ضوء مصباحه الكهربائي ، وما لبث ان هتف:

ــ أترى هذا الاثر الغائر في العشب يا توني ؟ لقد كان القارب هنا .

فقاطعه كراوس قائلا : لم يكن يوجد قارب في الحديقة مطلقاً .

وكانت الشجرة قريبة من النهر فاستطاع كولت ان يتبين خطاً طويلا غائراً يمتد منها الى الشاطىء ، ومن الواضح أنه كان أثر جر القارب بحمله الثقيل .

وفي صوت خافت ، راح كولت يقول لي :

ـ انني الآن على يقين يا صديقي من أن أحد هذه المنازل الهادئة المظهر كان مسرحاً للجريمة المزدوجة ، ففي أحدها تم بناء القارب واخفاؤه حتى حل الليل الى الحديقة ووضعت فيه الجثتان ثم سحب الى النهر وترك تحت رحمة التيار .

ـ ولكن كيف تستطيع معرفة المنزل المنشود بين هذه المنازل الخمسة والعشرين ؟

ـ ان المسألة كلها مسألة الهام من بادىء الأمر يا توني ، هل نذكر ان ايفلين المسكينة كانت تحمل مدلاة ذهبية عليها رقم ١٣ ؟ لنبدأ اذن بالمنزل الذي يحمل هذا الرقم .

ثم خاطب الحارس بصوت عال سائلا : ألا يقتني أحد سكان هذه المنازل هرا من النوع الفارسي يا كراوس ؟

ـ بلى .. انها هرة وتدعى جيزابيل .. وهي لمستأجر المنزل رقم ١٣ .

ـ حسنا يا كراوس . افتح لنا باب هذا المنز فاني أود أن أزوره .

فحاول الحارس ان يعترض ، لما في ذلك من انتهاك لحرمة منازل الناس وهو المكلف بحراستها ، ولكن كولت واجهه في حزم وهو يصوب الى وجهه مصباحه الكهربائي .

ـ إذا كنت حريصاً على واجبك إلى هذا الحد فاين كنت عندما ارتكبت هذه الجرائم ؟

ـ جرائم :

ـ نعم . انها جريمة قتل مزدوجة .

فترنح الرجل وشحب وجهه ، وغمغم : لست أدري عم تتحدث يا مستر كولت ؟

ـ لقد استلمت نوبتك في الساعة السادسة ، وبعد ذلك بقليل قتل رجل وامرأة في هذا المنزل ، فهل تزعم انك لا تعرف عن الأمر شيئاً ؟ وهل تظنني أصدقك ؟ فراح الرجل يرتجف كمن أصابته الحمى فجأة ، وصاح :

ـ هذه هي الحقيقة ، فانني لم أكن هنا ، لقد تركت الحراسة بعض الوقت .

ـ لماذا ؟ واين ذهبت !

ـ لقد تلقيت برقية بأن امرأتي أصيبت في حادث ونقلت الى مستشفى بروكلين بين الحياة والموت ، فأسرعت لأراها ولكني وجدت انها مزحة ثقيلة من أحد السخفاء ، فعدت ثانية .

ـ أرني هذه البرقية ؟

ـ فأخرج الرجل من جيبه ورقة صغيرة قدمها لكولت ، تقرأها هذا ثم ناولني ايهاماً طالباً ان احتفظ بها جيداً ، واستطرد يقول للحارس .

ـ انك في مركز دقيق يا كراوس وفي وسعي ان أقبض عليك الآن .

فصاح الرجل مرتاعاً :

ـ بالله لا تفعل يا مستر كولت ، سوف افتح لك المنزل .

- في هذه الحالة يختلف الأمر ، هيا أمامي .

وتبعنا الحارس حتى المنزل رقم ١٣ . وفي طريقنا اليـــه همس كولت في أذني :

- اننا نقترب من الحقيقة يا توني ، فهذه البرقية ليست سوى خدعة من الجاني لابعاد الحارس !

وولجنا باب المنزل ، فاذا نحن في ردهة مظلمة ليس بهـا من ضوء سوى ما يبعثه مصباح كولت الكهربائي ، وكنت اسمعه يتشمم الجو بصوت عال وأخيراً غمغم :

- انني لا اشم رائحة دماء حديثة .

ثم نحى بصره الى كراوس وقال :

- كم حجرة هنا في الطابق الأرضي يا كراوس ؟

- حجرتان للخدم فقط ، وهما خاليتان الآن ، أما باقي المنزل فيشغله المستأجرون .

- سوف افتش المنزل كله وستكون معي .. ولكن أشعل الضوء أولاً .

فلما انتشر الضوء في الردهة رأيت في صدرها بابا سميكا من خشب البلوط المنقوش فتحه كولت فاذا وراءه حجرة فسيحة خالية من الأثاث يضيؤها مصباح صغير مدلى من السقف ، وعندئذ سمعت كولت يتمتم في رضى :

- لقد اسعدنا الحظ هذه المرة يا توني ، ألا تشم رائحة طلاء جديد ؟

وكان في صدر الحجرة نافذة كبيرة يبلغ عرضها نحو تسعة أقـدام ولا ترتفع عن الأرض بأكثر من قدم واحد وتشرف على الحديقة والنهر، فقال لي كولت في صوت خافت: لست أريد ان اتعجل الحكم، غير ان رائحة الطلاء

والخشب التي تنبعث من هذه الحجرة تجعلني اعتقد ان القارب قد ظل بها بعض الوقت ، ومن يـــدري ؟ فلعله صنع هنا وأخرج الى الحديقـة من النافذة .

ثم التفت الى كراوس وسأله :

ــ لمن هذا المنزل يا كراوس ؟

ــ ان صاحبته السيدة بازيل هوارثون ، وهي سيدة عجوز هجرته لتقيم في الفندق وتؤجره مفروشاً ، والذي يستأجره الآن هو مستر ومسز سادلر كا يدعوان نفسيهما ، ولكنهما لا يقيمان فيه بانتظام ، بل يمضيان معـاً بعض الأمسيات أو السهرات .

ــ هل شعر مسز سادلر كستنائي اللون ؟

ــ نعم .

ــ ومستر سادلر ؟

ــ انه شعر اشقر مجعد .

ــ ألم تر أحداً غيرهما يدخل المنزل منذ ان استأجراه ؟

ــ كلا ، فيما أعلم .. فهما لا يستقبلان أحداً البتة .

ــ ألم يحضر الليلة الى هنا ؟

ــ كلا .. أعني لم يحضرا أثناء وجودي .

وراح كولت يجيل مصباحه الكهربائي في انحاء الحجرة ، وما لبث ان أشار الي بأن اقترب منه ، وهو يومي بأصبعه إلى بقعة من الطلاء الأخضر على الأرض ، قائلا :

لا تنسي أن القارب كان مدهونا بهذا اللون .

وعاد الى فحصه ، وإذا به ينحني جانباً ويلتقط شيئاً من ركن الحجرة خلفي وهو يقول: اترى هذه الأثقال الحديدية يا توني؟ يوجد هنا ثمانية منها.

ورفعت أحدها في يدي فاذا بها من الطراز الذي يستعمله الرياضيون في تداريبهم ومن نوع ثقيل غاية الثقل ، فوجمت لحظة مدهوشاً ، على حين استطرد كولت :

ـ أنني أكاد أخشى التعبير عن رأيي يا توني ، ولكن هب ان القاتل بلغ ظمؤه للدماء حداً جعله لا يكتفي بقتل ضحيتيه ، وانما أراد أن يقطع جثتيهما الى قطع صغيرة ويربط في كل منها ثقلاً حديدياً ثم يستقل القارب الى عرض النهر ويلقي به في اعماقه ، ولكن إذا كان الامر كذلك فما الذي منعه في انفاذ خطته ؟

وفي ركن آخر من الحجرة وجد كولت مجدافين قبل ان يقرر الصعود إلى الطابق العلوي . وما كنا نرقى الدرج ، ونبلغ الردهة حتى وجدنا في ناحية منها حقيبتين كبيرتين عليهما هذان الحرفان : ا. س.

وفتحهما كولت وكانتا غير مغلقتين بالقفل ، فاذا بداخلهما الكثير من الثياب والاحذية النسائية ، ولكنها جميعاً جديدة كل الجدة بحيث لم نجد عليها ما يمكن ان يرشدنا إلى شخصية صاحبها .

ومضينا الى حجرة استقبال عتيقة الطراز ، ولو انها وثيرة الفراش ، ليس بها من شيء عصري سوى جهاز للتليفون موضوع فوق خوان صغير . وكان كولت يجيل نظراته في انحاء الحجرة وهو يتمتم :

ـ ان كل شيء منظم مرتب ، وفي المكان المخصص له ، كما لا يوجد اي متاع شخصي ينم على صاحبه ، وان الانسان ليخال أنه قد مضت أعوام طويلة دون ان يلج هذه الحجرة انسان . آه !

وكانت عيناه تدوران في ارجاء الغرفة في بطء .. فرأيتهما تستقران فجأة على نقطة معينة وهو يهتف :

ـ أخيراً .. هذا شي يسترعي النظر .

فتبعت نظرته ، وإذا بي أرى سكيناً طويلة ذات حدين يستطع منها بريق يخطف الابصار، ولها مقبض طويل من العاج المنقوش، وكانت السكين معلقة على الحائط بشريط أحمر اللون .. فقال كولت :

ـ ان هذه السكين تدعى (بارونج) ولا تزال تستعمل في الفلبين وجزائر سولو .. ويستخدمها الوطنيون في ضرب اعناق اعدائهم .. ولكن كيف أحضرت إلى هنا ؟

فأجابه كراوس :

ـ انها للمستر هوارتون .. فقد كانت في شبابها جوالة رحالة ، وجلبتها أثناء رحلة لها في المحيط الهادي كما ذكرت لي .

فمر كولت بيده على الجدار حول السكين ، ثم قال وهو يريني أصابعه الملوثة بالتراب:

ـ ان الغبار يملأ المكان كله ما عدا هذه السكين . ولعلك تلاحظ انها مشحوذة حديثاً ، بـــل يستطيع المرء ان يقسم انها قد غسلت منذ ساعة واحدة .

واستمر كولت في بحثه ، حتى سمعته يصيح وهو يركع أمام الأريكة :

ـ تبارك الله في عليائه يا توني . انظر !

فنظرت . وإذا فوق راحته الممتدة شيء صغير يتألق في الضوء .

ـ انها فردة القرط الأخرى ، التي تكمل ما وجدناه في اذن المرأة قتيل القارب يا توني . الآن وثقت ان الجريمة ارتكبت هنا ، في هـــذه الحجرة بالذات . ولكن لنبحث عن أدلة أخرى .

وفتح بابا يؤدي إلى حجرة صغيرة معتمة ، فإذا به يمر على آثار اقدام حديثة واضحـــة كل الوضوح على التراب الكثيف الذي يكسو أرض

الحجرة المهجورة ، كما وجد على الجدار بجانب البـاب آثارا تنم على أن شخصاً كان يسند اليه رأسه ومرفقه، شخصاً لا يزيد طوله على خمسة اقدام. ترى هل نحن الآن في مخبأ القاتل ؟.

وخرج كولت من الحجرة المعتمة وفي أساريره علائم التفكير العميق .. وفي تلك اللحظة عاد السائق ، فقال انه اتصل بالمركز الرئيسي فعـلم ان الرجل قد عرفت شخصيته .. فهو المحترم تيموتي بيزلي راعي كنيسة القديس ميشيل الواقعة في الشارع الثاني والثمانين .. فعندما ذهب الشرطي الى تلك الكنيسة ليسأل عن القس اجابته السيدة التي فتحت له زوجها خرج ولم يعد، وقد بدأ القلق ينتابها من غيابه الطويل .

فأخرج كولت منديله وامسك به مسماع التليفون وطلب مستشفى بلفي حيث سأل عن مستر دوجرتي ، وبعد لحظة كان يقول :

أهذا أنت ميرل؟ انني أتحدث اليك من المنزل الذي ارتكبت فيه الجريمة نعم .. سوف أقص عليك كل شيء فيما بعد .. ولكني أرجو ان تحضر للتو ومعك فيجلي وباقي رجالنا .. فقط لا تقل شيئاً للصحفيين .. تماما ــ ١٣ سانجستر تراس ، المنزل ذو الباب الأحمر .

وأمر كولت سائقه ان يهبط الى الطريق لينتظر مستر دوجرتي ، كما أمر الحارس كراوس بأن يصحب السائق ويبقى معه .

ثم أخلد الى الصمت وراح يحجب انفاساً متلاحقة من غليونه .. ولكني لم استطع معه صبراً ، فسألته ان كان قـد كون فكرة عن كيفية وقوع الحادث فقال ساهماً .

لا تزال العناصر الاصلية تنقصني يا توني .. ولكنني أعرف شيئاً واحداً فقط ، هو ان مرتكب هذه المجزرة قد أعد خطته في أحكام غريب .. فاليد التي استخدمت هذه السكين لم ترتعد قط لأن صاحبها يمتاز برباطة الجأش

وقوة الأعصاب .. ولكن هل تستطيع انت أن تفسر لي كيف لم نجد أثراً البتة للدماء لا في القارب ولا هنا . على أننا على يقين من ان الضحيتين قد نزفا دماءهما وان الهرة قد وطئت هذه الدماء بأقدامها ؟

ولم ينتظر كولت اجابتي بل مضى نحو الباب قدماً ثم غادر الحجرة .. ولبثت جالساً بالقرب من النافذة أجهز مذكراتي عندما سمعته يدعوني من الردهة فهرعت نحوه ووجدته راكعاً على الأرض يمر بضوء مصباحه على الالواح الخشبية ، فركعت بجواره وإذا بي أرى خطين متوازيين من بقع صغيرة حمراء داكنة ، خلفتها اقدام هرة ملوثة بالدماء..فأخرجت من حافظتي (الفيش) الذي طبعت عليه بصمات أكف الهرة التي وجدت في القارب ، ورحنا نقارن بينها وبين هذه الآثار ، فكانت متماثلة منطبقة كل الانطباق .

وتنهد كولت في حيرة ، وهو يغمغم :

ولكن كيف لا يوجد أي أثر للدماء في حجرة الاستقبال ، على حين ان الهرة خرجت منها ومضت نحو الدرج ؟

وقبل ان نفكر في جواب هذا السؤال سمعنا صوت الباب الخارجي يفتح وإذا بصوت دوجرتي يجلجل وهو يصيح :

- مرحى يا كولت .. لله درك من رجل عظيم ! ولكن كيف اكتشف هذا المنزل بحق الشيطان ؟

وابتسم رئيسي وانتظر حتى تكامل جمع الرجال في حجرة الاستقبال ثم راح يلخص لهم كل ما مر بنا ، وأخيراً قال :

والآن أريدك ايها المفتش فيجلي على ان تأمر بالبحث في قاع النهر أمام الحديقة ، عن مسدس ، والات للنجارة ، كما اريد ان تفتش الحديقة عند

طلوع النهار وتلتقط صور جميع الآثار والبصمات التي تجدها سواء فيها أو في المنزل .. كذلك ينبغي ان تتحرى عما إذا كان أحد الجيران قـــد سمع طلقات نارية ، وان تتحقق من أقوال كراوس ، وأخيراً اريد ان تطلعني على كل ما تجده اولاً بأول في منزلي .

وبعد لحظات كنت بجواره في السيارة وهي تطوي الارض الى العنوان الذي القاه كولت على السائق .. الى منزل القتيل .

- ٣ -

وقفت السيارة وترجلنا ، فرأيت أمامي بناء متواضعاً تحيط به حديقة صغيرة ..

وقد شيد على الطراز القوطي بنوافذه الطويلة العتيقة وبرجه المدبب .. فاجتزنا الفناء ومضينا الى الباب — حيث أضاء كولت مصباحه الكهربائي — فرأينا لوحة سوداء نقش عليها بحروف مذهبة اسم كنيسة القديس ميشيل ، وتحتها مـــا يفيد ان المحترم تيموني بيزلي ، راعي الكنيسة ، يقطن المنزل المجاور ، فانتقلنا اليه ، وكان مـــنزلاً عتيق الطراز تكسو واجهته بعض النباتات المتسلقة ، فأدهشني أن أرى الضوء ينبعث من عدة نوافذ بالطابق الثاني ، على الرغم من ان الساعة قد بلغت منتصف الثالثة صباحاً .

وارتقينا الدرجات القليلة المؤدية إلى الباب ، حيث قرع كولت الجرس ، فاذا بالباب يفتح في الحال وإذا بي أرى شاباً قصير القامة يمسك شمعة بيده ، فعراني شعور عجيب من النفور لدى رؤيته ، لا ريب ان سببه تلك النظرة الجوفاء التي راح يحدقنا بهـــا من عينين متباعدتين مستديرتـين لا تتحرك حدقتاهما ، فسأله كولت :

ـ هل عاد المحترم تيموتي بيزلي ؟

فلم يزد الشاب على أن هز رأسه نفياً .. فاستطرد كولت :

ـ ألم تتلقوا نبأ منه ؟

فكرر الشبح ـ كما خيل الي ـ حركة رأسه .. ولكن كولت لم ييأس، فقال :

ـ هل السر بيزلي هنا ؟

وفي تلك اللحظة سمعنا ضوضاء خافتة ، هي وقـــع اقدام سيدة تهبط الدرج وقد لاح وجهها الشاحب وسط الظلام كهالة من الضوء .

واقتربت اليزابث كرنتوود بيزلي منا في هدوء ورزانة يثيران الاعجاب. وكانت فارعة الطول بادية القوة ، تنم طريقة ترجيل شعرها الموخط بالشيب وثوبها الأسود البسيط على ميلها الى الزهد والتقشف مع صرامة وتدين خليقين بامرأة أحد الرجال الدين .. فقدم كولت نفسه اليها وسألها ان كانت مسز بيزلي .. فأجابت :

ـ نعم .. هل تحمل الي انباء عن زوجي ؟

ـ ألم يعد بعد ؟

ـ كلا فقد خرج المحترم بيزلي في الساعة الثامنة على ان يعود قبل منتصف الليل ، هل أصابه سوء ؟

ـ لست أدري بعد .. فهل في وسعك ان ترينا صورته ؟

فتنحت مسز بيزلي عن الباب وهي تومىء لنا بالدخول ، بعد ان أضاءت النور ، ثم تقدمنا إلى حجرة استقبال صغيرة .. ولم تكن بي حاجة إلى ان تشير لنا الى صورة زوجها ، فقد كانت فوق المدفـأة صورة كبيرة بالحجم الطبيعي تبينا فيها للتو قتيل القارب .

وكانت مسز بيزلي شديدة الشحوب، ولكنها كانت متماسكة تسيطر على نفسها تماماً ، فقالت أهو نفسه ؟

فأجابها كولت :

ـ الأفضل ان تجلسي اولاً يا مسز بيزلي .
وعادت المرأة تسأل في اصرار بصوت ثابت النبرات :

وقبل ان يجيب كولت ، كان الشاب الذي فتح انسا الباب يتقدم نحوه مسرعاً وهو يهتف : ما الذي حدث لتيم (تيموتي) ؟

ان تيم لا يصيبه شيء ابداً.. انه.. انه الرجل الذي لا يصيبه سوء قط.
فامسكت مسز بيزلي بيده وأجلسته الى جوارها ، وهي تقول :

ـ انه أخي ، بادنجتون كرتنوود ، ولكن هل زوجي على قيد الحياة أم ... أم .

ـ لقد مات يا سيدتي .

فاغمضت الأرملة عينيها ، وعندئذ لم يبد عليها ما ينم على الصدمة المروعة التي أصابتها، فلم يزدد وجهها شحوبا، ولم تتسارع انفاسها أو تتلاحق اما بادنجتون فراح ينظر الينا نظرة غامضة منفرة قد تعني اشياء كثيرة ، او لا شيء البتة .. وظلت مسز بيزلي برهة ساكنة بلا حراك ، مغمضة العينين ، يحيط بها صمتنا وقد احترمنا حزنها .. واخيراً نهضت في بطء ، وهي تجر اخاها من يده ، ثم واجهت كولت قائلة :

ـ معذرة ، فينبغي ان ادعو اخي الثاني تليفونياً ، وبعد ذلك سوف تقودني الى جوار زوجي الراحل .. اما الآن فانني في حاجة إلى بضع دقائق حتى استوعب هذا النبأ المروع .
فانحنى كولت امامها ثانية وهو يقول :

ـ سوف ننتظرك هنا يا مسز بيزلي .

وما كادت السيدة واخوها ينصرفان من الحجرة حتى تحول كولت نحوي واصبعه على فمه محذراً من النطق بأية كلمة ، ثم اتخذ كل منا مجلسه في صمت ننتظر عودة الأرملة ، وانتهزت الفرصة لتأمل صورة القس ، فراعني ان

في أسارير الرجل مـــا ينم على مرارة دفينة في نفسه ، وثورة على الحياة والواجب معاً .. كانت صورة تيموني بيزلي تمثل رجلاً به ميـل الى الحب والشهوة ، وكانت عيناه تفيضان بالحيوية والرغبة ، ممـــا لا يلائم الثوب الكهنوتي الذي يرتديه .

وفيما كنت مستغرقاً في خواطري ، إذا برجل يقتحم الغرفة بغتـــة ، ويقف أمام كولت قائلاً :

ـ انني جيرالد كرتنوود ، أخو مسز بيزلي .. فهل لك ان تخبرني بمـا حدث ؟ فرمقه كولت بنظرة فاحصة قبـــل ان يجيب .. وكان جيرالد كرتنوود ربعة قصير القامة ، تشبه عيناه الزرقاوان عيني أخته ، كما تتشابه حركاتهما .

فلما قص عليه كولت تفاصيل الحادث صاح :

ـ يا الهي ! هذا أمر فظيع .. انني لا أكاد اصدق ما أسمعه .

ومع ذلك فقد لاحظت انه كان يصغي الى حديث كولت في انتبـاه ، دون أن يبدي حركة ان ينطق بحرف ينم على الانفعال أو التأثر .. وأخيراً سأله كولت :

ـ هل تستطيع ان ترشدني الى شخصية المرأة يا مستر كرتنوود ؟

ـ مطلقاً .. فانني لا أكاد استطيع تعليل الوقائع التي ذكرتها لي .. وكل ما يمكنني ان اقطع به هو ان هذه المرأة لا تعني شيئاً بالنسبة للمحترم بيزلي ولا تلعب أي دور في حياته .. فقد كان يحب أختي ويخلص لها كل الاخلاص.

فلم يذكر كولت كلمة واحدة عن الخطاب الغرامي ، واكتفى بان سأله:

ـ هل تعتقد ان مسز بيزلي قـد أتمت استعدادها لمصاحبتنا الى معرض الجثث ؟

فوثب الرجل على قدميه كالملسوع ، وهو يقول :

ـ وهل ذهابها ضروري يا مستر كولت ؟ انني على استعداد للذهاب معكم والتعرف على الجثة حتى نجنب اختي هذا المنظر الأليم .

ـ آسف يا مستر كرتنوود .. لا بد من ذهاب مسز بيزلي نفسها .

وخضع الرجل للأمر ، والغضب يعصف بنفسه ، ولكنه كان كأخته . قديراً في السيطرة على شعوره .

ولم تمض لحظات حتى كان الأخوة الثلاثة يخرجون معنا من باب المنزل ويخترقون نطاق الجند الذي ضرب حوله وحول الكنيسة معا ليمنع خروج أحد إلا باذن السلطات المختصة .. فألقت مسز بيزلي نظرة باردة على رجال الشرطة ولكنها لم تقل كلمة واحدة عنهم .. وقادها كولت وأخويها إلى السيارة ثم عاد ليسأل عن الشرطي الذي كان يقوم بالنوبة في تلك المنطقة هذه الليلة ، حتى إذا ما وجده سأله ان كان قد رأى شيئاً مريباً في المنزل أو في الكنيسة أثناء نوبته فأجاب :

ـ كلا يا سيدي الرئيس.. غير انني حوالى الساعة الحادية عشرة والنصف رأيت بضعة اشخاص يدخلون المنزل .. ولكن لم ألق بالا اليهم .

ـ أكانوا رجالاً أم نساء ؟

ـ اعتقد أنهم كانوا من الجنسين معا .

ومضت بنا السيارة الى معرض الجثث حتى إذا مادنا آل كرتنوود الثلاثة من القارب وقفوا جميعاً مسمرين في أماكنهم يحدقون في المنظر المروع أمامهم دون ان تبدو من أحدهم صيحة أو إشارة .. وأخيراً لمس جيرالد ذراع أخته فاستدار الثلاثة ليواجهوا رئيس البوليس والأرملة تقول في صوت ثابت النبرات :

أنه زوجي .. المحترم تيموني بيزلي .

ـ والمرأة .. هل تعرفينها ؟

فاغمضت اليزابيث عينيها ، على حين تقدم جيرالد قائلا :

ـ نعم .. انني اعرفها .. فهي امرأة تدعى مسز سوندرز كانت ترتاد كنيستنا خلال الاعوام الثلاثة أو الاربعة الماضية .

ـ اتعرف اين تقيم ؟

ـ نعم ـ ٢٤ شارع مانزكورت .

ـ شكراً .. وهل في وسعك ان تزودني ببعض المعلومات عن حياتهـــا الخاصة ؟

ـ أظن ان زوجها ويلي سوندرز يشتغل حارساً ليلياً .. كما ان لهـا ابنة ايزابيلا .

ودارت عينا كولت في وجوه الثلاثة ، لتقابل نظرات جيرالد كرتنوود المتحدية ، ونظرات مسز بيزلي الجامدة ، وابتسامة أخيها الأصغر الماكرة .وما لبث أن تركهم ومضى الى جانب من القاعة حيث دعـــا أحد رجال الشرطة فكلفه بأن يذهب الى العنوان الذي ذكره جيرالد ، ويضرب حوله نطاقاً من الحراس ، ثم يطلب الى ويلي سوندرز وبنته ايزابيل مرافقته الى المعرض للتعرف على جثة المرأة،وبعد ذلك يحضرهما الى منزل كولت الخاص.

وعاد الرئيس الى أرملة القتيل وأخويها ، قائلا :

ـ انني أرجو الآن ان ترافقني إلى مسكني ، فلدي بضعة اسئلة أريد ان أطرحها عليكم ، بعيدا عن فضول الصحفيين .

فتقدم جيرالد قائلا :

ـ انني اسألك المرة الثانية يا مستر كولت · هل ترى ذلك ضروريا ؟

ـ لا مناص من ذلك .

ـ هل لك إذن ان تسمح لي بكلمة على انفراد ؟

ـ بلا ريب .. تعال يا توني .

فلما بعدنا عن الجميع قال جيرالد في صوت خافت :

ـ انــه بشأن أخي بادنجتون يا مستر كولت .. فلعلك لاحظت ان المسكين مصاب بالعته وغير مالك لقواه العقلية تماماً .. ولست اعني أنه مجنون ، فهو ليس من ذلك في شيء .

ـ لماذا اخترت هذا الوقت لتقول لي ذلك ؟

ـ ألا يمكنك ان تعفي بادنجتون من الاستجواب ؟ انه .

ـ انك لم تجب على سؤالي .. لماذا اخترت هذه اللحظة ؟

ـ لأني لست أدري ما الذي يمكن ان تفيده من سؤال شخص ضعيف العقلية مثله ؟

ـ هذا بالذات ما أريد ان أعرفه يا مستر كرتنوود !

- ٤ -

كان الطابق الثالث من منزل تاتشر كولت لا يحوي إلا حجرة واحدة هي المكتبة الفسيحة ذات الأثاث الوثير والمقاعد الكبيرة المريحة ، وكان الرئيس قد عزم على استجواب اسرة القس في تلك الحجرة ، ولكنه كان يريد الانفراد بنفسه بعض الوقت للعناية ببعض التفاصيل الخاصة بالقضية ، فأمر بأن تجلس مسز بيزلي وأخواها في قاعة الاستقبال بالطابق الثاني ، ثم مضى إلى جناحه الخاص بعد ان طلب الي أن أسبقه الى المكتبة حيث كان دوجرتي وفيجلي وبعض المفتشين في الانظار .

وما كاد وكيل النيابة يراني حتى هتف ساخراً :

ـ ألم يأت رئيسك بمعجزات جديدة ايها الفتى ؟

ـ لقد اكتشفنا شخصية القتيلين .

ثم رحت أقص عليهم ملخص ما حدث في النصف الساعة الأخير ، وما ان فرغت من حديثي حتى دخل كولت الحجرة وهو يتوثب نشاطاً ويتدفق حيوية ، فقال :

ـ وأنت يادوجرتي ، ألم تكتشف شيئاً في منزل سانجستر تراس ؟

ـ نعم ، ولا .. ولكننا على كل حال قد حددنا ساعة وقوع الجريمة ..

ـ مرحى ! مرحى !. في أية ساعة ؟

ـ لقد اتفقت اقوال اثنتين من الجيران على انها كانت التاسعة الا ربعاً عندما سمعنا طلقين ناريين بينهما نحو ثلاث دقائق ، وأولى الشاهدتين حددت

الوقت تماماً لأنها كانت تتناول دواء في اللحظة والساعة بيدها . والأخرى في طريقها الى السينما ، ولما كانت الحفلة تبدأ في التاسعة فان شهادتها تتفق مع شهادة الاولى . وقد سمعت من هذه ان القتيلين كانا يرتادان منزل الجريمة بانتظام منذ عامين ، وكثيراً ما رأتهما يتنزهان في الحديقة على ضوء القمر في ليال عديدة.. وثمة شيء آخر ذكرته تلك الشاهدة، ذلك انها منذ شهرين كانت تسمع طرقات ثقيلة في ذلك المنزل مما يؤيد نظريتك من ان القارب شيد في الحجرة الكبرى بالطابق الأسفل .

فأمر كولت فيجلي بالتحري لدى بائعي الخشب وأدوات النجارة لعل أحدهم يستطيع ان يذكر شيئاً عمن اشترى هذه الأدوات .. ثم تحول نحوي وأمرني بأن اطلـــع الحاضرين على الخطاب الغرامي والبرقية ، وكذلك تفتيش منزلي القتيلين والكنيسة . واستطرد قائلا :

ـ لقد استطعت الآن ان أجمع بعض المعلومات عن آل كرتنوود هؤلاء . فقد ولدت مسز بيزلي في عام ١٩٢٠ ، أي انها الآن في السادسة والأربعين، وهي تنتمي الى أسرة غنية من اصحاب المصانع ، كما ورثت ثروة طيبة وهي في الخامسة والعشرين ثم تزوجت المحترم بيزلي في شيكاغو غداة فصم خطوبتها للكولونيل باول المحامي المعروف ، وسوف ترون الآن اناساً غريبي الاطوار شديدي التكتم بارعين في اخفــــاء حقيقة مشاعرهم خلف ستار من الجمود والصرامة .

ولم ادر ما الذي ينتظره كولت لاحضار الأرملة ، ولكنني ادركت السر عندما سمعت مقبض الباب يتحرك من الخارج ، ففهمت ان كولت يريـد الحصول على بصمات اصابع الشهود فلجأ الى خدعته المعروفة وهي استبدال المقبض الاصلي بآخر من طراز خاص تنطبع عليه بصمات اصابع كل من يفتح الباب .

وطلب الي كولت ان أنزل لاحضار مسز بيزلي وحدها ، على ان تفتح الباب بنفسها مهما يبدو في مسلكي هـــذا من فساد الذوق ، فما كاد الاخوة الثلاثة يرونني حتى نهضوا واقفين ، فذكرت لهم انني مكلف بدعوة مسز بيزلي وحدها ، وعندئذ ثار جيرالد كرتنوود وصاح في وجهي :

ولكن مسز بيزلي نظرت اليه في هدوء غريب وقالت :

ـ انني اعترض على ذلك بكل قواي، فان اختي متعبة بحيث لا تستغني عن وجودي بجوارها ، أين مستر كولت ؟

ولكن مسز بيزلي نظرت اليه في هدوء غريب وقالت :

ـ لا تعترض يا جيرالد ، فانني أضع نفسي تحت تصرف رئيس البوليس، يا الهي ! لو ان الكولونيل باول كان هنا لانقذني من هذه المحنة .

ـ ولكن الباخرة التي تقله لن تصل إلا غداً ، انني يا مستر أبوت أريد ان أتحـدث إلى رئيسك لاقنعه بأن اختي في حالة لا تحتمل معها استجواباً الآن .

ومن جديد قالت الارملة :

ـ انك مخطىء يا جيرالد ، خذني الى رئيسه ايها الشاب .

وغادرت اليزابيث كرتنوود بيزلي قاعة الاستقبال مرفوعـة الرأس ، ثم مضت نحو الدرج أمامي ، حتى إذا ما أشير الى باب المكتبة ، واجهتني في دهشة من سوء أدبي .

واستقبلها الرجال وقوفاً ، ثم قدم اليها كولت مقعداً خاصاً وسط هالة من الضوء زادت من شحوب وجهها وامتقاعه .

وبدأ كولت يسألها عن اسمها وعمرها وتاريخ زواجها ، فقالت انهـــا تزوجت من المحترم بيزلي منذ اثني عشر عاما واستطرد :

ـ متى خرج زوجك من المنزل مساء الامس ؟ وهل أخبرك الى اين كان ذاهباً ؟

ـ خرج حوالي الساعة الثامنة ، وكان قد اخبرني انه سيشتغل في مكتبه حتى منتصف الليل ، كما رأيته يجتاز الممر الداخلي الموصل من المنزل الى الكنيسة ، وقد ظل النور مضاء في مكتبه ولكنه خرج دون ان يخبرني فلم اعلم بخروجه إلا عندما ذهبت اليه عند منتصف الليل لأنبهه إلى الوقت فلم اجد احداً في المكتب

ـ الا ترتابين في سبب خروجه الفجائي ؟

ـ كلا .. ما لم يكن السبب الحديث التليفوني الذي سمعته يتبادله قبيل العشاء ، ولم اعرف من الذي كان يحادثه ، فقد قرع التليفون في الساعة السابعة إلا ربعاً ، وكان زوجي وقتئذ يحلق ذقنه في الحمام ، إذ كان غائباً عن المنزل طول اليوم ! فخرج ووجهه مكسو بالصابون ليجيب على التليفون فسمعته ـ دون ان اتعمد الاصغاء الى حديثه ـ يقول « هاللو » ، ثم سكت لحظة ، وأخيراً قال « حسنا . سوف اكون هناك في الساعة الثامنة » .

ـ اتظنين ان محدثته كانت مسز سوندرز ؟

فرفعت مسز بيزلي رأسها في انفة ، وقالت : لا ادري .

ـ اكنت على علم بالعلاقة التي كانت بينهما ؟

ـ ان هذه العلاقة المزعومة لم توجد قط . فقد ظل المحترم بيزلي مخلصاً لي .

ألم يخطر لك الطلاق منه يوماً ؟

ان آل كرتسوود لا يعرفون لهذه الكلمة وجوداً ، فمتى تزوج أحدنا كان زواجه أبديا .

ولم يشر كولت أية إشارة إلى الخطاب الغرامي الذي وجد في جيب القس ، واستطرد : وكيف تعللين وجود جثتيهما في هذا التابوت العائم معاً؟ ألا يوحي ذلك بوجود علاقة بينهما ؟

ــ لا شيء من ذلك البتة .. أفليس من أخص أعمال القس أن يستمع إلى اعترافات ابنائه ومتاعبهم في خلوة ؟ ثم ان مسز سوندرز كانت كثيراً ما تلجأ إلى نصائح زوجي وارشاداته ، فزوجها سوندرز مدمن خمر شرير: وقد ذكر لي المحترم بيزلي ان ذلك الرجل كان يضرب زوجته أمام ابنتها وهي فتاة في الخامسة عشرة مما يعد أمراً غير لائق .. وإذا كنت لا استطيع تعليل سبب مصرع زوجي العزيز الطاهر إلا أنني اقطع بأن وجود الجثتين معاً لا ينبغي تأويلا سيئاً .

ــ إذن فقد كانت الساعة الثامنة تقريباً عندما رأت المحترم بيزلي للمرة الأخيرة ؟

ولم تجب المسز بيزلي لأول وهلة .. ولاحظت انها تعصر يديها في قوة . ولبثنا ننتظر الإجابة على هذا السؤال العادي الذي القاه كولت دون غرض معين .. وأخيراً قالت :

ــ نعم .. لقد كانت الساعة قبيل الثامنة عندما رأيت زوجي للمرة الأخيرة على قيد الحياة .

ــ هل يمكنك أن تخبرينا كيف قضيت سهرتك ؟

ــ عندما فرغت من العشاء رحت أرتب معدات رحلة كنا نزمع القيام

بها غداً – أعني اليوم – للترفيه عن أطفال الابرشية ، على عادتنا كل عام منذ أحد عشر عاماً .. وبعد ذلك أويت إلى حجرتي لأكتب بضعة خطابات .. ثم رحت اقرأ نحو ساعة في كتاب ديني .

– ومتى فرغت من القراءة ؟

– حوالى الساعة العاشرة .

– ومتى بدأت تقلقين لغياب زوجك ؟

– عند منتصف الليل .

– هل سهرت إلى تلك الساعة ؟

– كلا .. فبعد ان تلوت صلواتي أويت إلى فراشي ، ولعلي رحت في نوم غير عميق ، لأنني استيقظت بغتة وبي فزع خفي إذ كان المنزل موحشاً ، مظلماً .. ونهضت من الفراش وذهبت إلى الكنيسة فوجدت النور مضاء في مكتب زوجي ولكنه لم يكن هناك . وانتابني القلق فطلبت أخي جيرالد في التليفون ، فهدأ من روعي ولكنه طلب الي أن اتصل به ثانية إذا لم يعد المحترم بيزلي حتى الساعة الثانية .. فلم أنم بعد ذلك ورحت اتلهى بحياكة بعض الجوارب حتى جاء رجل الشرطة وسأل عن زوجي .. وأنت تعرف الباقي .

– هل اتصلت بمستر كيرتنوود لتخبريه بسؤال الشرطي ؟

– نعم.. وقد أجاب أخي بأنه سيحضر للتو .. ولكنك سبقته بدقائق يا مستر كولت .

– ألم تسألي زوجك عن الموعد الذي حدده فى حديثه التليفوني ؟

ـ انني لا أوجه سؤالاً الى زوجي البتة ، فيما يختص بعمله .. وهو يخبرني بما يطيب له ان يخبرني به .

ـ ألم يقم برحلة منذ عهد قريب ؟

ـ انه لم يبرح نيويوك منذ ستة شهور .

ـ ألا يقيم أحد في المنزل سواك وزوجك ومستر بادنجتون أخيك ؟

ـ كلا .

ـ ها ما لاحظته .. ولكن هل في وسعك ان تخبريني عن الأشخاص الذين دخلوا المنزل في الساعة الحادية عشرة والنصف ليلة الأمس ؟

فواجهته بنظراتها الثابتة برهة ثم قالت في صوت هادىء وديع:

ـ ان أحداً لم يدخل منزلي في تلك الساعة .

ـ هذا يتعارض مع ما قرره الشرطي من أنه رأى جمعاً من الناس يدخلون المنزل في هذا الوقت . ولكن دعينا من ذلك الآن يا مسز بيزلي وخبريني هل كان لزوجك اعداء ؟ وهل كان محل تهديد من أحد ؟

ـ نعم .

فخرج دوجرتي عن طوره وصاح :

ـ آه ! هل تعرفين حقاً اسم قاتله ؟

ـ كلا .. لقد سألني المستر كولت ان لزوجي اعداء فاجبته بالايجاب .

ـ من تقصدين يا مسز بيزلي ؟

فترددت لحظة قبل ان تجيب : ويلي سوندرز .

ــ ماذا ؟ زوج الـ .

ــ نعم .. زوج المرأة التي وجدت ميتة بجانب المحترم بيزلي .. وقد كان زوجي يريد التقدم للمحكمة لسلب ولاية هذا الوحش على ابنته ، فلما علم ويلي سوندرز بذلك ثارت ثائرته وهدد القس بالقتل .

ــ هل سمع أحد هذا التهديد ؟

ــ ملاحظ الكنيسة وبعض اعضاء الابرشية .. وكان ملاحظ الكنيسة هو الذي ابلغني .

وبعد صمت يسير سأل كولت المفتش فيجلي ان كانوا قد وجدوا ويلي سوندرز ، فأجابه انه وأبنته اقتيدا الى معرض الجثث حيث تعرفا على الجثة الثانية ، وانهما سوف يكونان هنا بعد قليل .. فتحول كولت نحو الارملة قائلاً :

ــ لقد أفادتني شهادتك كثيراً يا مسز بيزلي ، ولم يبق الا مسألة واحدة أود أن أخبرك بها ، ذلك ان مصلحة التحقيق ، وسرعة القبض على قاتل زوجك يقتضيان أن نعرف الكثير عن حياته الخاصة ، وبمعنى آخر قراءة أوراقه جميعاً ، أي أن الأمر يدعو إلى تفتيش المنزل ، ولذلك فسوف يصحبك الآن المفتش فيجلي واثنان من رجاله وأرجو ان تسهلي لهم القيام بواجباتهم .

فنهضت مسز بيزلي وواجهت كولت قائلة في برود وكبرياء :

ــ انني لا أعرف شيئاً في القانون ، ولكن هل ينبغي ان أخضع لهذا الاجراء الشاذ ؟

فأجابها كولت وهو ينهض بدوره : كلا .

ـ إذن فاني أرفض .

فتدخل دوجرتي في حماس :

ـ ان يحديك هذا الرفض كثيراً ، لأننا سوف نجـد أنفسنا مضطرين الى حجزك هنا حتى تفتـح المحكمة ابوابها ونحصل على أمر قـانوني بالتفتيش .

فرمت مسز بيزلي اسلحتها ، ورضخت للأمر الواقـع ، وعندئـذ صحبهـا المفتش فيجلي ليعود معها الى منزلها ، خارجـين من باب الخدم .

فلما انصرفت الأرملة وكبير المفتشين ، قال كولت :

ـ أما وقد حصلنا على بصمات أصابع الأرملة ، فلنر اخاها الصغير .. هل لك يا توني ان تأتي بمستر بادنجتون كرتنوود .

وتركته يلقي أوامره على بعض المفتشين بسماع شهادة ملاحظ الكنيسة وغيره ممن سمعوا تهديد ويلي سوندرز للقس ، واخيراً عـدت ادفع امامي بادنجتون كرتنوود المسكين الذي لم يكن يعلم شيئاً عن انصراف اختـه ، ولذلك ما كاد يجتاز باب المكتبة حتى صاح بصوت متهدج تخنقه العبرات : اين اليزابيث ؟

فأخذ كولت بالرفق والدعة ، ولكن المعلومات التي قالها لم تقدمنـا خطوة الى الامـام ، ويمكن تلخيصها في انه اوى الى فراشه في الساعة العاشرة ، غير ان اخته ايقظته عنـد منتصف الليل ليجلس معها ، ولم

يسمع او يرى شيئاً البتة، وكان يتخلل اجابته بين آن وآخر سؤال واحد لا يتغير وهو : اين اليزابيت ؟

وفي النهاية صرفه كولت ليعود الى منزله في رفقة أحد الشرطة ، وما لبث ان حل محله اخوه الأكبر الذي دخـــل المكتب صاخبا يهدر كالثور الهائج :

ـ لقـــد علمت من سكرتيرك انك ارسلت اختي الى منزلها بمفردها مع بعض رجال الشرطة ، وهذا تصرف غير مفهوم يا مستر كولت .

فحدجه كولت بنظرة صارمة وهو يقول :

ـ اجلس يا مستر كرتنوود، ولا ريب انك لا تقل عنا رغبة في الوصول إلى قاتل المحترم بيزلي ؟

فجلس جيرالد وهو يقول :

ـ ان اهتمامي بالاحياء يفوق رغبتي في الانتقام للموتى .

ـ انها عاطفة مشكورة ، والآن دعني احدثك حديث الرجل للرجل ، فهل كنت على علم بالعلاقة التي بين بيزلي وايفلين سوندرز ؟

ـ لا ، وبحق ، فان زوج اختي لم يكن رجلاً فاضلا فحسب ، وانما كان مثال الرجل المهذب ، ولا يمكن ان يحب زوجة حارس ليلي .

فاحنى كولت راسه لحظة ثم القى عليه هذا السؤال :

ـ هل لك ان تخبرني اين وكيـــف قضيت ليلة الأمس يا مستر كرتنوود ؟

ـ ماذا ؟ هل تشك انني قتلت زوج اختي ؟

ـ انني قلما اجيب على الاسئلة يا مستر كرتنوود ، فعملي ينحصر في القائها ! فهز الشاهد رأسه ، ثم قال :

هل تريد ان تعرف ما فعلته مساء الامس ؟ حسنا . مهـــلا لحظة .. أجل، لقد تمشيت مع زوجتي وابنتي مرجريت وخطيبها ، وابني الصغير . ثم امضيت السهرة في المنزل اقرأ حينا واصغي الى الراديو حينا .

ـ إلى اية ساعة ظللت تسمع الراديو ؟

ـ إلى الساعة العاشرة ، أويت الى الفراش كعادتي دائماً .

ـ وما الذي فعله باقي أفراد الأسرة ؟

ـ لقد أوت زوجتي الى الفراش في نفس الوقت ، أما ابنتي فقد ذهبت الى السينما مع خطيبها ، على حـين ذهب ابني الاصغر الى حجرته مبكراً واستغرق في نوم عميق .. ولا ريب اني كدت استغرق انا الآخر مثله لولا ان ايقظتني اختي حوالي منتصف الليل لتعرب لي عن قلقها على تيم ثم عادت واتصلت بي لتخبرني بحضور أحد رجال الشرطة ليسأل عن القس المحترم ، فاسرعت بارتداء ثيابي وهرعت اليها فوصلت بعدك بقليل .

وتمهل كولت لحظة ريثما أشعل غليونه ، ثم قال :

ـ هل لك ان تخبرني عن برنامج الراديو الذي كنت تسمعه بين الساعة الثامنة والعاشرة من مساء الامس يا مستر كرتنوود ؟

فتورد وجه الشاهد حنقاً وغضباً ، وقال :

لست افهم الحكمة من هذا السؤال يا سيدي .

ـ ان حـكمته مع ذلك واضحة لا تخفى على رجل في مثـــل فطنتك يا مستر كرتنوود. ومع انني ليس لدي ما يبرر اتهام اسرة القتيلين بارتكاب هذه الجريمة إلا ان من واجبي تحديد ما فعله كل منهم في الوقت الذي حدث فيه القتل . وقد قلت لي انك كنت تستمع الى الراديو ، ولذلك كان من المعقول ان اسألك عن البرنامج الذي اصغيت اليه .

ـ انني لا اذكره.

ـ هذا من سوء الحظ . فليس في وسعي ان اقنع بهذه الاجابة .

ـ لقد كنت اقرأ صحيفة مسائية ، فأدرت الراديو حيثما اتفق كما انني لم انصرف الى السماع تماماً ولذلك لا أذكر اسم المحطة ولا البرنامج .

ـ هلا بذلت مجهوداً يسيراً في ايقاظ ذاكرتك يا مستر كرتنوود ؟ الا يمكنك ان تذكر ان كنت قد سمعت محاضرة ، او قطعة موسيقية مثلاً ؟.

ـ آه الواقع انها كانت موسيقى ، موسيقى راقصة .

فاكتفى كولت بهذا القول ، ونهض قائلاً : سوف نتقابل ثانية بعد الظهر يا مستر كرتنوود .

فلما خرج جيرالد كرتنوود ، تنهد كولت وقال : يؤسفني ايها السادة ان أخبركم بنبأ سيء هو غرق الباخرة اوكسين امام ساحل فلوريدا ليلة الأمس وفقد كثير من الضحايا .

فنظر اليه دوجرتي في دهشة . وكنت لا اقل عنه عجباً ، إذ لم أدر ما هي العلاقة بين هذه الكارثة البحرية وبين القضية التي نحققها ، ومع ذلك فقد جلا كولت هذه النقطة ، عندما استطرد قائلاً : وكانت جميع محطات الاذاعات قد توقفت حتى لا تشوش نداء الاستغاثة الذي تبعثه الباخرة أي انه في الوقت الذي قتل فيه بيزلي وايفلين سوندرز لم تكن هناك محطة إذاعة واحدة تذيع موسيقى راقصة ، أو غير راقصة .

٥

وثب وكيل النيابة على قدميه دفعة واحدة وهو يصيح :

ـ أعيدوا هذا الوغد إلى هنا ، اقبضوا عليه سريعاً ، هـــذا المنافق الكذاب !

فهدأ كولت من روعه باسماً وهو يقول :

ـ مهلا يادوجرتي ! أية فائدة ترجى من اشعار كرتنوود بأننا نعلم انه قد كذب علينا ؟ أليس الأفضل أن ندعه مطمئنا ثم نراقبه جيداً ؟

وتحول إلى المفتش لنجل فكلفه بأن يضع وراء جيرالد كرتنوود من يقتفي أثره ليلا ونهاراً ، وان يتحرى أكبر قسط من المعلومات عن اسرتي القتيلين ، وعن مسألة تهمه كثيراً ويريد جلاءها وهي : هل كانت علاقـة القس بايفلين معروفة بين أفراد الأبرشية .

وأردف قائلا :

ان اغرب نقطـة في القضية في نظري هي اصرار الاسرة على انكار هذه العلاقة ، مع انه ما من ريب في وجودها ، وفي علم آل كرتنوود بها . ولعلهم ينكرونها درءاً للفضيحة ، ولكن في مثل هذه القضية الخطيرة يجب ان يعرف البوليس كل شيء .

فلما مضى المفتش لنجل لتنفيـــذ مهمته أمرني كوات باحضار ويلي سوندرز وابنته ، على ان استوثق اولا من ان الخادم قد ابدل اكرة الباب بأخرى (عذراء) .

ووجدت الرجل وابنته متلاصقين على احدى الارائك ، وقد هدهما الحزن والفزع ، والفتاة تبكي بكاء أليما . وكان ويلي سوندرز رجـلا مفتول العضلات قصير القامة طويـل الذراعين ، على حين كانت ابنته ـ وهي لا تعدو الخامسة عشرة ـ نحيلة القوام لا تخلو طلعتها من وسامة .

واقتـــدتها أمامي إلى المكتبة ، فجلسا متجاورين أمـام كوات ودوجرتي ، وبدا الرئيس اسئلته قائلا : ما الذي تعرفه عن رقم ١٣ سانجستر تراس يا مستر سوندرز ؟

فنظر اليه الرجل وهو لا يزال وجلا مذعوراً ، وقال :

ـ لا شيء .. انها المرة الاولى التي اسمع فيها هذا العنوان .

ـ الا تعلم ان زوجتك كانت تذهب الى هناك دائما ؟

ـ هذا كذب ، وكل من تسول له نفسه بأن يذكر زوجتي بسوء فسيكون لي معه شأن وأي شأن . لقد كانت ايفلين زوجة مخلصة وأما عطوفاً .

ـ ما هي مهنتك ؟

ـ حارس ليلي لليخت فاليانت الذي يملكه الكومودور ليتون ، وهو يرسو أمام الشارع السادس والثمانين .

ـ ولماذا لم تذهب لعملك هـــذا المساء ؟ لقد وجـــدك رجالنا في منزلك ؟

ـ كان كل شيء هادئاً فوق ظهر اليخت ، وشعرت برغبة ملحة في ان

احتسي كأساً من الخمر ، وهكذا عدت إلى المنزل .

ـ متى غادرت اليخت ؟

ـ في الساعة الثامنة .

ـ ولكنك كنت لا تزال في المنزل عند منتصف الليل ؟

ـ لقد كانت ابنتي ايزابيل منقبضة النفس وحيدة .. فقد نصح الطبيب لايفلين ـ على اثر ابلالها من مرض ألم بها ـ ان تذهب لتبديل الهواء في الريف .. فسافرت هذا المساء في رحلة لمدة اسبوع ، ومعها حقيبتاها ، الى شقيقة لها تقيم في واكسلي .

ـ ومن أي مرض كانت تشكو ؟

فتصدت ايزابيل للاجابة قائلة :

ـ لقد كانت متعبة منذ بعض الوقت ، وظنت نفسها حبلى .. ولكن عندما استشارت الطبيب قال ان بها اضطراباً عصبياً .

ـ ومتى عرضت نفسها على الطبيب ؟

ـ منذ ثلاثة أشهر أو أربعة ، فقد كان الثلج يتساقط يوم ذهبت الدكتور جورج توماس . فشكرها كولت ، ثم سأل اباها عما فعله ليلة الأمس ، فتصدت ايزبيل للاجابة مرة ثانية وقالت انه كان ثملا إذ شرب كثيراً من الخمر ليغرق فيها شجونه التي ألمت به من سفر والدتها ، حتى اضطرت لوضعه في فراشه .. وكانا وحدهما في المنزل .

واشعل كولت غليونه ثم عاد يسأل الرجل :

ـ هل كانت العلاقة على ما يرام بينك وبين زوجتك يا سوندرز ؟

ـ كلا .

وعقد الشاهد ذراعيه فوق صدره ، ثم استطرد قائلا :

ـ كان لا بد ان يأتي يوم يقع فيه الانفجار ، فان بيزلي كان يريد ان يفرض سلطانه في منزلي ، بعد ان اكثرت زوجتي من الشكوى اليه باختلاق الأكاذيب عني .. وقد سمعت انه نصح لها بأن تهجر هذا الزوج السكير وتأخذ ابنتها .. تأخذ عزيزتي مني ! فلم اطق صبرا على ذلك وأمرتها بألا ترى المحترم بيزلي قط .

كيف كانت الحالة النفسية لوالدتك عندما فارقتك هذا المساء يا ايزابيل ؟

ـ كانت تبكي..وكلما قلت لها اننا سوف نلتقي ثانية بعد ايام معدودات امعنت في البكاء .

كانت كأنها تودعني الوداع الأخير ، وهو ما حدث فعلا .

ـ وكيف لم تصحبيها إلى المحطة ؟

ـ لقد منعتني من ذلك منعاً قاطعاً ، محتجة بأنها لا تحتمل هذا الموقف الأليم ، فسرت معها الى محطة سيارات الأجرة القريبة من منزلنا ، وظلت تشير لي بمنديلها من نافذة السيارة حتى اختفت عن انظاري .

ـ ألم تتحدث والدتك بالتليفون الى القس بيزلي قبل رحيلها ؟

ـ لقد تحدثت الى شخص ما حوالي الساعة السابعة إلا ربعاً ، ولكنني لا اعرف من هو .. وقد سمعتها تقول « في الساعة الثامنة تماماً » قبل ان تضع المصباح في مكانه .

فتحول كولت الى ويلى سوندرز ثانية ، وقال :

ـ هـــل كنت تعلم ان زوجتك كانت تثق بالمس بيزلي الى هذا الحـد ؟

ـ طبعاً .. وكيف لا تثق به وقد كانت تعمل سكرتيرة له خـــلال عامين ؟

فتدخل دوجرتي في لهفة شديدة :

ـ تقول ان زوجتك اشتغلت سكرتيرة له مـــدة عامـين .. متى كان ذلك ؟

ـ لقد تركت هذا العمل منذ ثلاث سنوات ، لأنها لم تتفق مـع مسز بيزلي التي تريد ان تسير الابرشية على هواها .

فقال كولت : هل تعلم من سبقها في هذا العمل ومن خلفها فيه ؟

ـ لقد خلفتها امرأة تدعى ايماهيكس .. أما التي كانت قبلهـا فأظنها تدعى بيسي ستروير .

فشكره كولت ، ثم سأله منذ متى يقيم في نيويورك فأجاب :

ـ منذ بضعة أعوام فقط ، فقد كنت أقيم في روكفيل واعمل نجـاراً متخصصاً في بنـــاء القوارب والسفن ، ولكني سقطت ذات يوم من عل ، وأصبت بكسر في ظهري،فاصبحت لا استطيـع الاستمرار في مهنتي الشاقة، ولا أدري مـــاذا كان سيحل بي وبايفلين والصغيرة ، لولا ان قيض الله لي الكومودور ليتون الذي الحقني بخدمته .

ـ انني أريد ان أطرح عليك سؤالاً صريحاً ، فهل تظن ان العلاقة بين زوجتك والمحترم بيزلي كانت .. كانت مريبة ؟

ـ كلا .. والف مرة كلا ، فانني واثق من طهارة زوجتي واخلاصها .. وسبب البلاء كله هو أنها وبيزلي كانا يعدانني سكيراً لا يرجى صلاحه .. ولما كان قد ارتبطا بالعمل مدة طويلة فقد كانت العلاقة بينهما وثيقة ولكن لا تشوبها شائبة ، وهي علاقة طبيعية لا ترقى الشكوك اليها .

ـ ألا تعرف اعداء لزوجتك أو المحترم بيزلي ؟

ـ لم يكن لايفلين أعداء .. ومع ذلك فان أحد الأشخاص الذين كانت تختلط بهم كان يضمر لهـا بغضاً شديداً ، كما أنه لم يكن يحب القس بالمثل ..

ـ من الذي تعنيه ؟

ـ بادنجتون كرتنود ، ذلك الفتى الأبله ، فكثيراً ما كان يفاجىء ايفلين وهي تعمل وحدها بمكتب القس والسكين في يده ، وهي سكين من الخشب ليست بذات خطر طبعاً ، ولكنها سكين على أي حال .

ـ هل رآه احد يقترب من زوجتك والسكين في يده .

ـ لست أذكر الآن ، ولكنني سأذكره حتما في الغد .

ـ حسنا ، يمكنك ان تعود الان إلى منزلك ، وسوف تجد هناك بعض رجال البوليس يفتشونه ، ولا تنس ان تظل تحت تصرفي في الغد .

فلما انصرف الشاهدان ، كانت الساعة قـد بلغت السادسة صباحا ، فأحضر لنا خادم كولت اقداح القهوة الساخنة ، وبعض الطعام ، حتى إذا ما فرغنا من تناوله ، قال كولت لدوجرتي باسما .

ـ هل لي أن أعرف رأيك في القضية الآن يا عزيزتي دوجرتي ؟

- يبدو لي أنها سهلة الحل إلى حد بعيد ، فلدينا الآن بعض الحقائق التي لا يمكن تجاهلها .

وراح وكيل النيابة يعد على أصابعه : (١) كان ويلي سوندرز يعلم ان زوجته واقعة تحت تأثير بيزلي (٢) وهو رجـــل سكير تخرجه الخمر عن أطواره (٣) عاد لمنزله ثملا وترك عمله بلا سبب جدي (٤) وجدت الجثتان في قارب ، وهو باعترافه نجار متخصص في بناء السفن (٥) لا ريب انـه وابنته يعرفان حقيقة العلاقة بين ايفلين والقس .

- انه عرض جيد للوقائع يا دوجرتي، ولكن بعضها مع الأسف يتعارض مع اشياء أخرى لا ينبغي ان نتجاهلها ، فكيف استطـاع ويلي سوندرز ان يتسلل الى منزل سايحستر تراس ليبنى فيه قاربا ؟ واين ذهبت ساعة القس وخاتم زواجه ؟ ولماذا كذب علينا جيرالد كرتنوود ؟ هل لتغطية مركز سوندرز ؟ هذا محال طبعاً ، ومن المحتمل ان يكون بريئـاً ولكن كذبته هذه غير مفهومة ، وثمة شيء آخر ، فان هذه الجريمة المزدوجة تبدو وليدة تدبير محكم ، ولولا ان أتاحت لي الصدفة المجردة العثور على ورقة من شجرة لمكثنا طويلا نتخبط في الظلام ، وهكذا ترى انني لا استطيع الأخـــذ بنظريتك ، دون ان يكون في ذلك ما يتعارض مع احتمال صحتها .

وبعد لحظة كان بين أيدينا تقرير الطبيب الشرعي ، بما يفيـــد ان الضحيتين قتلا برصاصتين من عيار ٢٢ ، وقد حاول القاتل فصل رأس مسز سوندرز ، بعد وفاتها ، كما انها لم تكن حاملا .

وظل دوجرتي صامتا برهة ثم سأل رئيسي عمـــا ينوي عمله الآن ، فأجابه :

- ينبغي قبل كل شيء أن نجـد بيسي ستروبر ، السكرتيرة التي سبقت مسز سوندرز في خدمة القس .

ـ أتعتقد أننا امام جريمة باعثها الانتقام من سكرتيرة مفصولة .

ـ كلا .. لست اعني هذا البتة ، ولكنني اريد ان أعرف ما تعلمه عن بيزلي ، ولذلك سأسمع ايضاً أقوال السكرتيرة الخيالية ايما هيكس .

وقطع علينا الحديث دخول أحد المخبرين يرتدي ثيـــاب العمال الذين يغسلون نوافذ المكاتب والمتاجر ، فألقى عليه كولت بعض الأوامر وصرفه ثم تحول الي قائلا :

ـ سوف يغسل فلنت اليوم نوافذ مكتب جيرالد كرتندوود ، وسيخبرنا بكل ما يحدث هناك ، كما انه سيصل اسلاك التليفون بآلة خاصة معـــه ليسترق السمع كلما استعمـل جيرالد تليفونه ، فان لهذا الرجل في نظري أهمية عظمى .

وتواعد دوجرتي وتاتشر كولت على اللقاء في إدارة الشرطة عند الظهر. وسبقني الرئيس الى هناك على حين مضيت لقضاء بعض لوازمي الخاصة ، حتى إذا ما وافيته بعد ربع ساعة ، إستقبلني قائلا : لقــد جدت أشياء كثيرة في قضية بيزلي وسوندرز يا توني ، فأعد مذكرتك وتأهب لكتابة ملخص التقارير التي تلقيتها الآن : لقد اسفر التحري عند بائعي الخشب عن نتيجة ايجابية ، فقد اشترى الخشب الذي بنى به القارب من محل جارسون وهيس ، في أوائل ابريل، وسلم بناء على أمر المشتري الى رقم ١٣ سانجستر تراس حيث أدخل من نافذة كبيرة بالطابق الارضي ، وقد وصف عامـل المحل الذي قام بتسليم الخشب المشتري بأنه « سيد قصير القامة ، بدين الجسم شاحب الوجه يبدو في سيماه الحياء والخوف » .

فتبادلت وكولت نظرة صامتة ، دون ان يجرؤ احدنا على النطق بذلك الشك العجيب الذي قام في نفسينا . وأخيراً استطرد كولت يملي علي :

ـ وقد تبين ان جوزيف توسيل وصديقته الصغيرة لا علاقة لهما بالحادث على اية صورة ، كما ان خبير الخطوط قد اثبت ان الخطاب الذي وجدناه بجيب بيزلي قد كتب بخط القس نفسه ، أما البرقية المرسلة الى كراوس ، الحارس الليلي لسانجستر تراس،فظهر من التحريات انها ارسلت من مكتب البريد ببروكلين ، كما يذكر الموظف المختص ان مرسلها سيد قصير القامة يبدو عليه القلق والخجل .

ـ يا الهي ان هذا الوصف يطابق الرجل الذي اشترى الخشب ؟

ـ تماماً ، الحق معك ، وقد وصل فيجلي الى نتيجة طيبة في سؤاله الملاحظ ، إذ حدثه عن اجتماع عقد في الكنيسة بمكتب القس ، وحضره المحترم بيزلي وزوجته ، وجيرالد وبادي كرتنوود وشخص آخر يدعي أليري شادويك ، وهو مدير املاك الابرشية ، ويبدو انه وجيرالد الحاكمان بأمرهما في شؤون الابرشية جميعاً ، وكان المقصود من هذا الاجتماع املاء إرادتهما على القس ، وقد اعترف الرجل ان شيطان الفضول قد اغراه باستراق السمع فتبين ان شادويك قد بلغته امور عن علاقة بيزلي بايفلين سوندرز ، وانهما يخلوان ببعضهما كثير ، فاستأجر بعض المخبرين الخصوصيين لاقتفاء أثرهما ، ومن العجيب ان هؤلاء المخبرين مع تأييدهم لوجود هذه العلاقة بين القس وسكرتيرته السابقة ، فانهم لم يذكروا شيئاً عن سانجستر تراس ، على حين كان هذا المنزل عش الغرام الذي يجتمعان فيه منذ عامين ، وقد قاوم بيزلي متهميه مقاومة عنيفة ، واعترف بأنه يصحب مسز سوندرز احيانا في نزهة بالسيارة حقا ، ولكنه نفى نفياً باتا وجود علاقة مريبة بينهما ، واخيراً وعد بالامتناع عن رؤيتها ، ويعترف الملاحظ بأنه سمع ويلي سوندرز يقول عن القس « سوف يعض اصابعه ندماً على معرفتي ومعرفة زوجتي » وايد اعترافه بعض من كان حاضراً هذا الوعيد .

ـ اذن فلم تكذب مسز بيزلي في هذا القول ؟

ـ كلا .. ولا ويلي سوندرز ايضاً عندما حدثنا عن ميل بادنجتون كرتنوود الى اقتناء المدى والسكاكين ، ولكن ذلك لا يفيدنا في شيء ، إذ ان بادنجتون ليس نجاراً ومن المحال ان يصنع قاربا بمفرده ، وفي الوقت نفسه ذكر طبيبه الذي يرعاه منذ طفولته انه مصاب بنوع من الجنون الخفيف ، يميل به نحو حب البتر والتقطيع ، ولو انه تعلم الطب لغدا من اعلام الجراحين .

وقبل ان أعلق على هذا القول بكلمة ، دوي جرس التليفون ، وظل كولت يصغي برهة ثم وضع السماعة وقال : ان فيجلي ولنجل من الابطال. فقد تحقق الاول ان مسز سوندروز هي التي اتصلت بالقس تليفونيا في الساعة السادسة والدقيقة الخامسة والأربعين من مساء الامس ، ولكن هذا لا يكاد يذكر بجانب ما ذكره هو لي نفسه من ان شخصاً ما قد اتصل من تليفون رقم ١٣ سانجستر تراس في الساعة التاسعة وبضع دقائق من ليلة أمس بجيرالد كرتنوود وقد نسى مستر كرتنوود المبجل ان ينبئنا بذلك ولكني ساضطر الى انعاش ذاكرته .. هذا وقد علم فيجلي من امرأة تدير مشرباً للشاي بالقرب من سانجستر تراس ، وان بيزلي وايفلين سوندرز كانا يترددان كثيراً على مشربها وقد سمعتهما ذات يوم يتحدثان عن مخبأ في الكنيسة نفسها يتخذانه صندوقاً للخطابات .

واستغرق كولت في التفكير برهة ثم عاد يملي علي :

ـ وقد اثمرت تحرياتنا عن علاقة القس بتلك المرأة ، فعلمنا ان بعض افراد الابرشية كانوا يرتابون في وجود هذه الصلة ، ولكن الفضيحة لم يتسع نطاقها إلى حد ذيوعها بين الجميع ، ومهما يكن من أمر فقد تحقق لدينا الآن أن آل كرتنوود قد كذبوا كذباً صراحاً عندما زعموا ان هذه الصلة لم توجد قط.

ـ وهل كان ويلي سوندرز على علم بها ؟

هذا ما لم أتحققه بعد ، وأخيراً فلدينا قصة ، صغـيرة عن أشباح قيل انها كانت في العهد الاخير تظهر في كنيسة القديس ميشيل بين آن وآخر ، وكان ذلك موضع حديث الجميع في وقت من الاوقات.

وبعد ان فرغ كولت من املاء تقريره ، استطرد قائلا :

ـ اما الآن فعلينـا ان نستمع الى سكرتيرتي بيزلي ، وهما تجلسان في هذه اللحظة عند الكابتن هنري ، واني اعلق على شهادتها اهمية بالغـة . إذ استطيع أن اعرف شيئاً عن حياة المحترم بيزلي الخاصة وميوله المختلفة ، وسنرى الآن مس بيسي ستروبر ، سكرتيرتـه الاولى ، ولكن عليـك ان تتحقق اولا من انهم قد استبدلوا اكرة الباب كالمعتاد .

وبعد قليل كانت بيسي ستروبر تجلس أمامها ، وهي فتاة ضئيلة الجسم بسيطة المظهر ، سلبتها الطبيعة كل مـظـاهر الأنوثة والجمال ، ترتـدي ثيـاباً متواضعـة ولا تتحلى بشيء سوى قرط يبدو انهـا ورثته عن جدتها . غير انه استرعى نظري فيها ما يبدو في عينيها من كآبـة وألم مكبوت .

وتتلخص شهادتها في انها تقيم مع أهلها ، وهم من التجار ذوي اليسار ، وانها عندما أتمت دراستها راحت تتلقى دروساً في الاختزال والسكرتارية ، حتى نالت شهادتها ، وعندئذ عرض عليها المحترم بيزلي ، وكان يعرفهـا من ترددهـا على الكنيسة ، ان تشتغـل سكرتيرة له ، فظلت في هذه الوظيفة نحو ثلاث سنوات حتى ادركها الكلال وأشار عليها الطبيب براحة طويلة .. فلما عادت الى نيويورك وجدت القس قـد شغل وظيفتها بمسز سوندرز .

فلما سألها كولت عما إذا كانت تعتقد إن بيزلي كان على علاقة حب مع مسز سوندرز أجابت وقد تورد وجهها حياء :

ـ انني أعرف ان ذلك قد أشيع في وقت ما ، ولكنني وقد عرفت المحترم بيزلي حق المعرفة ، أعلم أنه رجل طموح ما كان ليرضى بأن يحطم مستقبله من أجل امرأة .

ولم تقدمنا اقوال بيسي ستروبر خطوة الى الأمام ... وكانت تجيب علي اسئلة كولت في صراحة ووضوح ، ولكنها لم تكن بذات أهمية .

وخلفتها في المقعد مس اياهيكس ، وهي عانس متقدمة في السن ثرثارة ما كادت تدخل الحجرة حتى اندفعت تقول :

انني اعلم انك دعوتني لتسألني عن العلاقة بين المحترم بيزلي المسكين، وتلك الافعى ايفلين سوندرز ، وفي رأيي ان المسؤولية كلها تقع في مثل هذه الأمور على عاتق المرأة ، أما الرجل فضعيف لا يستطيع ان يقاوم الاغراء طويلا .

ـ إذن فأنت لا تلومين المحترم بيزلي على مسلكه ؟

ـ أبداً .. فقد ظل هذا الرجل طول حياته ضحية للنساء .. ولماذا ؟ لأنه طيب القلب لا يستطيع الدفاع عن نفسه .. فزوجته تضايقه من مطلع الشمس إلى غروبها ، وتريد ان تضعه تحت الوصاية دواما ، بل لا تتورع عن تأنيبه جهاراً .. وأما ايفلين سوندرز فامرأة خليعة مبتذلة ، لا أعدو الواقع ان قلت أنها خطرة على كيان الأسر السعيدة ، وأني لأعجب كيف استطاع المحترم بيزلي ان يقاوم طويلاً قبل ان يقع في شراكها .. أقول

ذلك لأنه يكفي ان تقترب أية امرأة من القس لتعلم إلى أي حد كان متقد العاطفة ملتهب الحواس .

ـ هل تعتقدين أنه كان سعيداً في بيته ؟

ـ أنه لم يكن يزيد أو ينقص عن معظم الأزواج ، ولكنه واليزابيث كرتنوود لم يكونا زوجين مثاليين ، فهي باردة العاطفة ، متحفظة ، متباعدة نفور ، لا مطمع لها إلا ان تغدو زوجة مطران ، وهو مطمع كان يشاركها فيه زوجها نفسه ، مما يجعل الاشاعة التي ذاعت في الابرشية بعيدة عن التصديق :

ـ أية اشاعة يا مس هيكس ؟

ـ لا ريب انك تعرفها ، فقد قيل ان بيزلي وايفلين سوندرز يزمعان الفرار معا .

ـ وما رأيك في هذه الاشاعة ؟

ـ لا رأي لي فيها ، ولكن هناك حقيقة ملموسة ، هي ان المحترم بيزلي كان يجمع في الآونة الاخيرة نشرات السياحة والأسفار ، لا في أوروبا ، ولكن في بلاد الشرق النائية كالصين والهند وسيام ، وقد فاجأته ذات يوم فكنت أراه يقلب أوراق النتيجة ويعد الايام على أصابعه ، وفي مرة ثانية سمعته يتصل تليفونياً باحدى شركات السياحة ويسأل عن ثمن التذكرة .

ـ ألم تسمعيه يحدد تاريخاً ؟

ـ منذ زهاء شهر ، ومن العجيب انني لم اسمعه قط يتحدث الى امرأته عن هذه الرحلة ، بل انه كان يعد معداتها في خفاء شديد .

ـ أكان يطلب تذكرة أم اثنتين ؟

ـ لقد سمعته يطلب تذكرة واحدة .

ـ هل تعرفين شيئاً عن أليري شادويك ؟

ـ ما الذي تريد معرفه عنه ؟ الخراب الذي مني به في البورصة اخيراً ؟ أم حبه لمسز بيزلي ؟ فلم تتحرك عضلة واحدة في وجه كولت بل قال : حدثيه بكل ما تعرفينه عنه .

ـ لقد كانت اليزابث كيرتنوود قبل ان تتزوج من بيزلي موضع حب رجلين هما الكولونيل باول المحامي المعروف ، ثم مستر شادويك ، وكان بعض ذوي الألسنة الحادة يقولون ان شادويك كان يسعى لثروتها ، وانه حتى بعد زواجها ، كان لا يفتأ يحاول ان يثبت لمسز بيزلي تهتك زوجها وغرامياته حتى إذا ما طلبت الطلاق منه ، غدا شادويك في الصف الاول من طلاب يدها ، مع ان مسز بيزلي لم تحب أحداً غير الكولونيل باول ، ولا تزال توليه الكثير من عطفها .

ـ ولما فسخت خطابتها له ؟

ـ لأنه ملحد لا يعتقد في الله ولا الشيطان ، على حين انها شديدة التدين .

وذكرت الشاهدة قبل ان تنصرف ان القس كان في بعض الاوقات يخلع ثوبه الكهنوتي ، ويخرج خفية في ثياب عادية ، وكان في الآونة الاخيرة يبدو مهموماً ، كما كان هناك من يقتفي أثره من صنائع شادويك وجيرالد كرتنوود ، وقد اخبرت القس بذلك .

فنظر كولت إلي بعد خروجها نظرة ذات مغزى ، وقال :

ـ الآن عرفنا لماذا لم يكتشف المخبرون منزل سانجستر تراس .

ولم يتم عبارته إذ اقتحم الغرفـــة الشرطي الذي كان يترصد حركات جيرالد كرتنوود ، وذكر ان الاخير قد أرسل برقية الى الكولونيل باول على ظهر باخرته يطلب مقابلته بمجرد نزوله الى الميناء وانه بعد ذلك اتصل تليفونياً بابنه الصغير وقال له :

ـ هل اتممت المهمة يا صغيري ؟ حسناً ، والآن اصغ الي ، عليـك ان تأخذ اللفافة تحت ذراعك وتذهب الى محطة جراند سنترال حيث تستقل القطار إلى نيوروشيل ، وهناك تمضي إلى شخص يدعى ريتسكي ، صاحب مصبغة وحانوت للغسيل بجوار المدرسة الثانية ، وتعرفه بنفسك وتقول له ان هذا الشيء يجب ان ينظف مما به للتو علي أن يبقيه لديه حتى ابعث من يحضره من عنده .

وسرعان ما أمر كولت طائرة البوليس بأن تخف إلى نيوروشيل ، قبل وصول قطار نيويورك وان يقوم الكابتن هولاندر بضبط هـذه اللفافة واحضارها مع وكرتنوود الصغير إلى كولت .

فلما حضر دوجرتي وتلوت عليه مذكراتي كاد يطير فرحـــاً بالنتائج التي وصلنا اليها ، وكان من رأيه ان نقبض على جيرالد كرتنوود في الحال، وقبل ان يرد عليه كولت قرع جرس التليفون فتناوله الرئيس وراح يصغي قليلا ، ثم قال : سوف احضر حالاً .

فلما وضع المسماع مكانه ، تحول الينا وعيناه تتألقان اهتماماً وهو يقول :

ـ لقد كلمني أحد رجالنا من منزل القس ، فقد عثر على ساعة القتيل وخاتم زفافه في درج المكتب الخاص بمستر بيزلي .

- ٦ -

ودرجت السيارة بثلاثتنا حثيثاً صوب بيت النس ، وكان كولت صامتاً ، فحذوت حذوه ، ولكن دوجرتي لم يطق صبراً ، فقال :

ـ ان اخفاء مسز بيزلي للساعة والخاتم في درج مكتبها لأمر ذو مغزى يا عزيزي كولت ولا تنس انها حاولت ان توجه شكوكنا نحو ويلي سوندرز وان جيرالد كرتنوود ذكر لنا دليل نفي كاذب ، وان بادنجتون ذو ميل الى البتر والتقطيع ، واخيراً ان جيرالد أرسل قطعة مما من الثياب لتنظف حالاً .

فخرج كولت عن صمته ليقول له : لقد نسيت ان تذكر ايزابيل سوندرز وأباها والهرة !

ـ اسخر ما شئت ، ولكني قد كونت رأيي ، فان مسز بيزلي غارقة في الجريمة الى أذنيها .

فلما بلغنا المنزل كان المفتش لنجل في انتظارنا عند الباب ، فقال لرئيسي ان جيرالد كرتنوود حضر منذ برهة ومعه الكولونيل باول المحامي الذي أراد طرد رجال البوليس بحجة انهم لا يحملون أمراً قانونياً بالتفتيش ، واكتفى أخيراً بأن يمنعهم من الاستمرار في تفتيش المكان .

ـ واين مسز بيزلي الآن ؟

ـ في فراشها ، فقد ادعت المرض لتغلق بابها في وجهنا .

ـ واين الساعة والخاتم ؟

ـ انها معي ، وقد حاول باول ان يستعيدهما ولكن عبثاً أراد .. هاهما .

وكانت الحليتان ملفوفتين بعناية في منديلين من الحرير ، فراح كولت يفحصها بينما استطرد لنجل : وقد استحال على الاقتراب من مسز بيزلي فلم اعرف تعليلها لوجودهما في مكتبها .

ووجدنا المنزل ، فاذا بالكولونيل باول ، وهو كهل عريض المنكبين أنيق الهندام ، ينتظرنا في قاعة الاستقبال ، فتقدم نحو الرئيس يحييه في حرارة ، وما لبث ان قال :

ـ انني يا عزيزي كولت نهب بين سروري للقائك ، واسفي لأن يكون هذا اللقاء في ظروف اليمة كهذه ، فما كدت أغادر الباخرة حتى وجدت خير اصدقائي فريسة بين يديك ، فما الذي أصاب ذكاءك وحصافتك يا كولت ؟ انني أول من يعترف ببشاعة هذه الجريمة المزدوجة ، ولكني كذلك أول من يحتج على أرهاقك أرملة محترمة مسكينة لم تفق بعد من صدمة الكارثة المروعة التي نزلت بها ، وملء بيتها بالجواسيس والمخبرين . كيف حالك يا مستر دوجرتي ؟ ألا تزال وكيلا للنيابة ؟ ولكن لا ريب انك من الالمام بقانون تحقيق الجنايات بحيث تدرك ان الاجراءات التي اتبعت حتى الآن باطلة كلها ، وقد اوقفتها جميعاً لمخالفتها للقانون .

فقال كولت في هدوء :

ـ هل أفهم من ذلك ان مسز بيزلي قد رأت ان تضع مصالحها بين يدي محام ؟

ـ لقد فرضت ذلك عليها فرضاً ، بعد ان رأيت تحاملكم عليها ايها السادة، وإلى ان تستعيد هذه السيدة النبيلة قواها، فلن يتم تحقيق أو تفتيش ولكنها عندئذ سوف ترى من واجبها ان تجيب على اسئلتكم وتضع بين أياديكم مفاتيح بيتها .

فاندفع دوجرتي قائلا :

ـ إذا كان موكلوك ابرياء فماذا يخشون من هذا التفتيش ؟ لقد كذب جيرالد كرتنوود عندما قال انه كان يستمع إلى الراديو ، على حين اننا نعلم ...

فقاطعه المحامي مبتسما :

ـ ان مستر كرتنود رجل اعمال يا دوجرتي ، ومثل هؤلاء تجدهم دائماً مشردي الذهن . وأنا أقول لك أنه لم يستمع للراديو ، ولكنه بينما كان يطالع صحيفته كانت زوجته تعزف على البيانو قطعة موسيقية راقصة فخيل اليه ان الصوت ينبعث من الراديو ، وهذا كل ما في الأمر ، وأنا لا أراه يثير شكا أو ريبة .

فقال كولت : بديع جداً يا عزيزي باول ! انه تعليل بارع كل البراعة !

ـ وهكذا بقية شكوككم يا كولت ، فقد غاليتم كثيراً في شأن وجود الساعة والخاتم بمكتب مسز بيزلي ، فان هذه الساعة جديدة كانت تنوي مسز بيزلي ان تقدمها لزوجها المنكود في الاسبوع التالي هدية في عيد ميلاده وهو لم يضعها في يده قط ، فاذا كانت ساعته الأصلية قد فقدت ، فانها ساعة أخرى تختلف عن هذه كل الاختلاف ، أما الخاتم فأمره أهون شأنا إذ كان بيزلي قد خلعه من أصبعه في الحمام وهو يحلق فوجدته مسز بيزلي وأخذته الى حجرتها لتعيده اليه عند رجوعه .

ـ وهل تعلم ان مستر جيرالد كرتنوود قد تلقى ليلة الأمس محادثـة تليفونية من المنزل رقم ١٣ سانجستر تراس ؟

ـ هذه أول مرة اسمع فيها ذلك .

ولم يطق دوجرتي صبرا على سخرية المحامي فغادرنا منفعلا في طريقه الى مكتبه ، واعداً ان يبعث الى كولت بأمر التفتيش بمجرد الحصول عليه من قاضي التحقيق ، فلما انصرف قال كولت للكولونيل باول : هناك نقطة واحدة أود ان أسمع تعليلك لها ، فقد أجمع أهل القتيل على انكار وجود أية علاقة مريبة بينه وبين مسز سوندرز في حين اننا نعلم بوجود هـــذه العلاقة منذ زمن طويل ، فكيف يبرر كذبهم هذا ؟

فأحنى باول رأسه وهو يقول في اكتئاب :

ـ الواقع ان هذه نقطة جدية يا كولت .. وأقول لك فيما بيننا ان هذه العلاقة كانت قائمة حقا ، وانني وأخوة مسز بيزلي كنا على علم بها . ولكن مسز بيزلي كانت تجهلها ، وبذل اخوتها جهد المستميت في اخفائها عنها . ومن ذلـــك ترى انهم لن يعترفوا بهـــا قط مهما سقت اليهم من أدلة وبراهين .

فتنهد كولت ، وغمغم :

ـ لقد عرفت مسز بيزلي كيف تختار محاميها ، والآن هل تسمح لي يا عزيزي باول بأن افتش الكنيسة ومكتب بيزلي الخاص فيها ؟

ـ انها تحت مطلق تصرفك افعل بها ما تشاء .

فمضيت وكولت الى ممر مكشوف يصل ما بين المنزل والكنيسة ، مـا كدنا نعبره حتى وجدنا بابا يؤدي الى حجرة صغيرة مربعة ذات نافذة واحدة

تطل على حديقة صغيرة مهجورة ، وبها أثاث بسيط يحيط بمكتب صغير عتيق الطراز كان القس يستعمله ، فراح كولت يفحص كل شيء في الحجرة ، بعد ان القى نظرة على الأوراق التي قام لنجل بفحصها في الصباح وأخرج منها كل ما رأى أنه قد يفيد التحقيق .

واسترعت نظر كولت بعض الصور الصغيرة التي تمثل القس وايفلين سوندرز ، وأخرى كبيرة كانت تزين الجدران وتمثل صور القديسين وبعض المشاهد التاريخية الدينية ، بيد أنه كانت بينها صورة تمثل جماعة من الناس في رحلة خلوية في الريف ، ذات يوم من أيام الخريف بلا ريب إذ كانت السيدات يرتدين معاطفهن وقفازاتهن ، وكان يبدو من طراز الثياب التي يرتدينها ان الصورة قد التقطت منذ خمس سنوات أو ست ، وكان بيزلي وزوجته ، وهي ترتدي معطفاً أنيقاً طويلاً ذا ياقة وأكمام من الفراء ، يقفان في الوسط ، وحولهما فتيات وفتيان من ابناء الطائفة ، ومن ان كولت كان يوجه اهتماماً غريباً الى صورة إحدى الفتيات اللواتي يمثلهن المنظر، وما لبث ان أشار بأصبعه اليها قائلاً :

ـ تأملها جيد يا توني ، الا تراها جميلة ساهرة ؟ لعمري انه تبدل عجيب !

فلما ابديت دهشتي وعدم فهمي لما يقول ، غمغم في ابتسامة عريضة :
ألا تعرفها ؟

فرحت أتأمل مرة ثانية ذلك الوجه الجميل التي يشير اليه كولت ، فلم أعرف صاحبته ، وان كان قد خالجني شعور خفي بأنني رأيت هذه الملامح من قبل .

ـ يا عزيزي توني ، أنك لن تغدو يوماً قوي الملاحظة ، ألا تذكر هذا القرط ؟

وتركني الرئيس في ذهولي، ثم فتح الباب الذي ولجناه منذ قليل ، ودعا المفتش لنجل قائلا :

– ان لدي مهمة عاجلة بالغة الأهمية اود ان أكلف بها أحد رجالك .

ثم راح يصدر أوامر المفتش في صوت خفيض لم اسمع منه شيئاً ، حتى إذا ما فرغ من حديثه ، عاد ليفتح الباب الثاني للحجرة ، فاذا بنا نجد نفسينا في كنيسة القديس ميشيل .

كانت الكنيسة صغيرة مستطيلة الشكل وقد ارتفع مقعد الكاهن في أحد جوانبها ، على حين امتلأ سائرها بالمقاعد الممتدة في صفوف متوالية بعرض القاعة مع ممر ضيق بينها يؤدي إلى باب الخروج .

وبينما كنت وكولت نجيل انظارنا بين انحائها ، فتح ذلك الباب بغتة وبدت منه مس ايما هيكس – سكرتيرة القس الأخيرة – وفي صحبتها رجل قصير القامة مترهل الجسم تبدو في سيماه الصرامة ، فقالت : لقد أخذت على عاتقي ان أحضر مستر شادويك لمقابلتك يا مستر كولت .

وما كان الرجل يحيي الرئيس حتى اندفع في محاضرة طويلة دفاعاً عن الكنيسة وسمعتها ، ثم دفاعاً عن مسز بيزلي وأخويها ، فتركه كولت يتكلم وأخيراً قال له بعد ان نفد صبره :

– انني يا مستر شادويك بسبيل اكتشاف قاتل المحترم بيزلي والمسز سوندرز ، فهل لديك معلومات تلقي ضوءاً على هذه الجريمة ؟

– كلا ..

– أكنت تعرف بيزلي جيدا ؟

– منذ سنوات عديدة ، فقد كان مرشدي الروحي وصديقي .

ـ ألم يسر اليك يوماً انه يخشى انتقام عدو له ؟

ـ كلا ..

هل كنت على علم بعلاقته بمسز سوندرز ؟

فانفجر غضب شادويك ، وقال : ان المكان ، أولا ، لا يليق فيه مثل هذا الحديث ، ثم ..

فقاطعه كولت في صوت كحد الحسام :

ـ لا فائدة لك من ان تركب رأسك يا مستر شادويك ، فاننا نعرف كل شيء هذه العلاقـة وعن الاجتماع الذي عقـد في مكتب القس ، بتحريض منك .

فطأطأ الرجل رأسه ، ووطأ من من كبريائه ، ثم قال :

ـ ان ما سمعته صحيح يا مستر كولت ، فانني عنـدما علمت بانحراف قسيسنا وراعينا عن الطريق القويم أردت محافظة على سمعة الطائفة ان ...

ـ حسنا ، انني أعرف الباقي ، فهل لك الآن ان تخبرني هل سمعت عن الأشباح التي كانت تظهر في الكنيسة ؟

ـ أشباح ؟ انها قصة خرافية يا سيدي .

ـ ألم يبلغ سمعك ان بعض الفتيات كن يستمدن أدوارهن في تمثيلية دينية بمسرح الكنيسـة بالطابق الأسفل ، فرأين شبحاً في الكنيسة ؟

ـ هل تعني هـذه السخافة التي اذاعتها فتيات طائشات ؟ لعمري لقد نسيتها .

ـ من الحزن ان ذاكرتك ضعيفـة يا مستر شادويك ، ولكني أرجو الا تنسى شيئاً بعد ذلك هلا قصصت علي أمر هذا الشبح بالتفصيل ؟

فتدخلت ايما هيكس ضارعة :

ـ دعني اتولى عنه هذه المهمة يا مستر كولت ، كان منشأ هـذه الخرافة فتاتين خرقاوين زعمتـا انهما صعدتا الى الكنيسة ذات مساء لتبحثا عن كتاب خاص باحداهما ، فما كادت الأولى تفتح الباب حتى صاحت فزعاً ، وزعمت انها رأت شبحاً ابيض يمثل امرأة شابة ، يقف وراء مقعـد القس .. وفي مرة ثانية زعمت عجوز من الجيران انها رأت الشبح نفسه يجتاز الحديقـة ويلج الكنيسة وهي مغلقة ليلاً .

فصاح شادويك : هذا محض اختلاق .

ـ انني يا مستر شادويك أعلق أهمية قصوى على هذا الأمر ، فاننا نعلم ان القس بيزلي وايلين سوندرز كانا يتخذان مخبأ خاصاً في الكنيسة لاستخدامه كصندوق للخطابات التي يتبادلانها .

فجعل الرجل يصيح مغيظاً : انه هراء الصحف يا سيدي .. فما سمعت قط بشيء كهذا .

وراح يذرع الكنيسة ذهاباً وجيئة في انفعال ، وما لبث ان وقف أمام كولت فجأة وهو يقول في صوت متهدج : وبعد ؟ هب ان ذلـك صحيح فلماذا تثيرون هذه الفضيحة حول كنيستنا ؟ وهل يتحمل القطيع كله تبعة أخطاء راعيه ؟

ـ انني اقدر شعورك يا مستر شادويك .. ولكني اؤدي واجبي .. والآن هل لكما ان تنتظراني في المكتب قليلاً ؟

وما ان خرجا حتى غمغم كولت : ان هذا الشبح لم يكن سوى ايفلين سوندرز يا توني ، وقد رؤيت خلف مقعد القس ، فلا بد ان يكون صندوق الخطابات في ذلك الموضع .

وأشعل مصباحه الكهربائي وراح يبحث في كل مكان بحثاً مضنياً استغرق وقتاً طويلاً، حتى سمعته أخيراً يهتف: تعال يا توني .. لقد وجدت صندوق الخطابات!

وكان المخبأ السري عبارة عن مربع صغير من الخشب خلف صف من الكتب الدينية في فجوة بالجدار وراء مقعد القس. وكانت ترى فيه الظلام بقعة بيضاء مربعة، من الواضح انها كانت خطابا لم يصل بعد الى يد صاحبه، فأخرج كولت قلمين من جيبه واستعملها كملقط أخرج به الخطاب حتى لا يمس بصمات الاصابع الكثيرة المنتشرة على الكتب وعلى الخطاب نفسه.

وكان الغلاف بخط مسز سوندرز، ومعنونا الى: «المحترم تيموني بيزلي» فاقترب كولت من النافذة وراح يفحصه ملياً، وأخيراً قال: لقد فتح هذا الخطاب ولصق ثانية يا توني.

ولم يلبث ان مزق الغلاف من أحد جوانبه، فاذا بنا نقرأ آخر ما سطرته المرأة المسكينة:

«.. نعم يا عزيزي، سوف أحضر في الساعة الثامنة كما طلبت الي وكما أجبتك في التليفون .. ولكني أكتب اليك لأسألك لآخر مرة: السنا في صدد ارتكاب حماقة عظمى بهذا القرار، مع علمك بأن هناك من يتتبعنا ويقتفي أثرنا؟ انني أكاد اجن فرحاً لهذا الذي قررته أنت أخيراً، ومع ذلك فانني ارتعد فرقاً، لا من أجلي، ولكن من اجلك انت، لأنه إذا اكتشف اعداؤنا عشنا الصغير الجميل فقد ضعنا وضاع معنا حلمنا الذي أعددناه بالفرار معا .. وعندما وعدتني اللقاء في منزلنا بدلا من المحطة خفق قلبي فرحاً وفزعاً في آن واحد .. ولست أدري سبباً لهذا الانقباض الذي اعتراني بغتة، ولا لموجة التشاؤم التي اكتسحتني، واعلم مدى بغضهم لي

وخنقهم علي ، حتى لقد خشيت ان يكون خطابك الأخير غير صادر منك بل هو شرك ينصبونه لي وهذا هو السبب في اتصالي بك تليفونياً .»

وكان الخطاب يفيض بعد ذلك بعاطفة متدفقة تنم عن مدى الحب الذي تكنه المرأة للقسيس ، واستعدادها للتضحية بنفسها في سبيله .

وأخيراً طواه كولت ووضعه في جيبه ، ثم قال :

– هل لك أن تدعو ويليامز ليلتقط هذه البصمات يا توني ؟ انني أشعر بأنها ذات اثر حاسم في القضية .

ثم عاد ينقب في انحاء القاعة على غـــير هدى – كما خيل لي – بينما كان الواقع ان فكرة معينة غير محدودة كانت قـد نشأت لديه وقتئذ كما علمت فيما بعـــد .. ولم يكتف ببحثه في الكنيسة وانما مضى الى حجرة الدروس الى أسفلهـا حتى وجد اخيراً ما كان يبحث عنه ، وهو زجاجة صغيرة من الصمغ ، وضعها في جيبه في حرص وهو يتنهد ارتياحاً .

فلما عدنا الى الكنيسة كان خبير البصمات يجمع أدواته ، فقال لكولت انه وجد سبع بصمات مختلفة سوف يقارنها بالمجموعة التي التقطها منذ بدء التحقيق ويقدم تقريره عنها بأسرع ما يستطيع .

وبينما كان ويليامز يجتاز الباب ارتطم بالضابط الطيار هولاندر ، الذي كان يتأبط لفافة متوسطة الحجم ويمسك في يده بغلام لا يعدو الرابعة عشر من العمر .

واسرع كولت يفض اللفافة بيد ثابتة ، واخيراً أخرج منها قطعة من الثياب بنية اللون ذات ياقة واكمام من الفراء عرفت فيها للتو ذلك المعطف الذي كانت ترتديه مسز بيزلي عندما التقطت لهـا صورة الرحلة منذ خمس سنوات .

وكان الجزء الأسفل كله ملوثا ببقع حمراء داكنة لا شك في نوعها ، كان معطف مسز بيزلي ملوثا بالدماء .

وفي عناية وبطء شديدين راح كولت يطوي المعطف ثانيـة ، ويضعه في صندوقه دون أن تختلج في وجهه جارحه ، حتى إذا ما فرغ من ذلك تحول نحو الغلام ، وكان يقف ممسكا بقلنسوته بين يديه ، فسأله عن اسمه ، فأجابه والدموع تترقرق في عينيه انه جيرالد كرتنود الصغير ، وانـه في الخامسة عشرة من عمره، ولكنه نفى معرفته لصاحبة المعطف ، بل ابى أن يضيف حرفاً بعد ذلك إلا في حضور أبيه .

فابتسم كولت وهو يعجب لعناد هذه الأسرة وصلابة عزمها ، وقال :

ــ حسناً يا جيرالد ، لن أسألك عن شيء ، فعد الى المنزل وقص هذه المهزلة الصغيرة على صديقك العجوز الكولونيل باول ، ولا تنس ان تخـبره انني قد فحصت المعطف جيداً وانه بين يدي الآن .

فلما خرج الغلام ، أعطى كولت اللفافة إلى لنجل وكلفه بأن يذهب الى محل (لورد وتيور) يحمل المعطف علامته ، ويرجع إلى دفاترهم القديمة حتى إذا ثبت منها أنه يخص مسز بيزلي أخـــذه الى المعمل الكيماوي لتحليل البقع ومعرفة كنهها ، رلو أنه مأمن أحد منـا كان يرتاب في انها دماء بشرية ..

وما كاد لنجـل ينصرف بحمله الثمين ، حتى بدأ الكولونيل باول على الباب الموصل الى المنزل وهو يهدر كالبعير : كولت ! هل أصابك مس من الجنون ؟ لماذا بالله تصب جام انتقادـــك على أناس لا حول لهم ولا قوة ؟ سوف تعلم نيويورك بأسرها غداً ان رئيس البوليس يستعمل وسائل وحشية غلمان المدارس ليحملهم على الكلام .

— خير لك ان تعترف يا عزيزي باول انك تدافع عن قضية خاسرة .

فاستعاد المحامي هدوءه ورزانته ، وقال في صوت يفيض حزناً :

— انك يا صديقي تتبع أثراً خاطئاً ، وتحاول أن تلصق التهمة بأرملة تعسة ، لقد وجدت معطفاً ، فمن أين لك أنه يخص مسز بيزلي ؟ ومن قال ان هذه البقع من الدماء ؟ أليس من التعسف ان تتهم هذه الأسرة لمجرد ان معطفاً أرسل للتنظيف خارج نيويورك ؟ يجب ان يكون للمرء عقلية رجل البوليس ليفهم ذلك !

فأجابه كولت وهو يبتسم :

— عندما يجد رجل البوليس معطفاً ملوثاً بالدماء ، يخص زوجة الرجل الذي قتل البارحة ، ويحمله ابن شقيق تلك الزوجة خفية إلى مدينة أخرى لتنظيفه فهل ينبغي ان يكتف ذراعيه وينسب ذلك الى محض المصادفة ؟

— كان يجدر بك قبل ان تستنتج شيئاً معيناً ، ان تطلب تفسيراً .

يسرني أن اسمع هذا التفسير من فم مسز بيزلي نفسها .

— سوف تحصل عليه منها بعد شفائها من وعكتها .. ولكن ثق ان مسز بيزلي المسكينة بريئة من كل ما يتصل بهذه الجريمة .. بل ان اسرة القتيل لا تقل عني أو عنكم رغبة في اجلاء غوامض هذا السر المروع ، ونحن جميعاً على استعداد للتعاون معكم .

— لماذا عارضت في تفتيش المنزل اذن ؟

— انني لن اعترض على ذلك بعد الآن ، وقد أتيت خصيصاً لأعرض عليك ان تؤدي واجبك ولكن لن تستطيع استجواب مسز بيزلي أو

مستر بادنجتون كرتنوود اليوم لأنهما مريضان طريحا الفراش .

ولكن الرئيس هز كتفيه ساخراً وهو يقول :

ـ لست أرى ما يدعو للعجلة الآن .. وعندما أجد الوقت ملائماً لأجراء التفتيش فسوف انبئك .

فلما انصرف المحامي لم اكتم كولت دهشتي من مسلكه فقال :

ـ ما دام هذا الثعلب العجوز هو الذي يعرض ذلك ، فثق انه لم يبق بالمنزل ما يستحق عناء البحث .. كما انني الآن اكثر اهتماماً بمنزلين آخرين ، هما مسكن سوندرز ، ورقم ١٣ سانجستر تراس .. فهناك ثغرات لا بد من ملئها قبل ان نقرر أمراً حاسماً .

وأسرع كولت خارجاً ، وهو يستحثني ، حتى إذا مـــا اسرعت بنا السيارة ، تنهد قائلاً :

ـ ان ارتكاب الجريمة بين جدران ذلك المنزل اللعين تجعل من غير المحتمل ان نعثر على شاهد عيان لها .. ولكن لو أن احـداً رأى فرداً من آل كرتنوود يدخل المنزل أو يخرج منه ، لكان لنا شأن آخر في الأمر .

فلما وقفت السيارة أمام مسكن ويلي سوندرر ، وجـدنا أحد المفتشين هتف وقد فرغ لتوه من تفتيشه فقدم للرئيس مفتاحاً صغيراً وجده في أحد الادراج ، قائلاً :

ـ انه لم يجد شيئاً سواه قد يفيد التحقيق ، خصوصاً أنه لا يفتح أيـاً من أبواب المسكن ففحصه الرئيس ملياً ، ثم دعـا سائق السيارة فأعطاه المفتاح وأصدر اليه أوامره في صوت خافت لم يسمعه أحد منا .

وكانت ازابيل في البيت بمفردها ، مع خالة لها .. أما ويلي سوندرز فقد جاء اثناء وجودنا وهو يترنح ثملاً ، فما كاد يرانا حتى صاح :

ـ ألم يتقدم التحقيق بعـــد ؟ وكيف بالله لم تقبضوا على مس بيزلي حتى الآن ؟

ـ ما الذي يدفعك الى هذا القول ياسوندرز ؟

ـ لا ريب ان شخصاً ما قد ارتكب هذه الجريمة ، شخصاً يمقت عزيزتي أيفلين .. وليس هنـــاك من يمقتها اكثر من مسز بيزلي كما اعترفت هي نفسها .

ـ لمن قالت ذلك ؟

ـ انها بيسي ستروبر التي سمعت منها هذا الاعتراف .. وقد تذكرت هذا الأمر في صباح اليوم ، فان بيسي قابلتني في الطريق ذات صباح ، منذ نحو عام ، فوقفت لتقول لي ان مسز بيزلي غاضبة من خروج ايفلين مـع المحترم بيزلي ، كثرة لقائها ، وقـد نعتت ايفلين بأقبح الصفات ، وقالت انها لن تهدأ أو يقر لها قرار حتى ترى ايفلين راقدة في قبرها .. ولما كانت زوجتي قد لبثت مدة طويلة سكرتيرة للقس فلم أر في الأمر شيئاً يمس شرفها أو سمعتها ، وأغضيت عن هذه الترهات .

فنظر الى كولت نظرة ذات مغزى ، إذ ان بيسي ستروبر لم تذكر لنا شيئا من ذلك عند استجوابها في الصباح ، بل لقد أكدت انها لا تعتقد في صحة الاشاعات عن العلاقة بين القس وسكرتيرته السابقة .. واخيراً قال كولت الرجل :

ـ سوف نتكلم في هذا الأمر فيما بعد يا سوندرز ..

ودعا الرئيس ايزابيل ، فسألها :

ـ ألم تسمعي والدتك قط تشكو من ضياع أحد مفاتيحها يا ايزابيل ؟

ـ بلى .. ولكن كيف عرفت ذلك ؟

ـ متى كان هذا الأمر ؟

ـ منذ شهرين تقريباً .

وفي تلك اللحظة عاد سائق السيارة ، فحيا الرئيس وقال :

ـ انه مفتاح ذلك الباب يا سيدي .

فأخذ كولت المفتـــاح ووضعه في جيبه دون ان يقول شيئاً ، ولكنه عندما رأى حيرتي قال وهو يبتسم : ألم تحدس الحقيقة بعد ؟ ومع ذلك فانه أمر لا أهمية له اكثر من تأييد ظنوني فيما يختص بشبح الكنيسة ، فهو مفتاح بابها الخارجي الذي كانت تستعمله ايفلين سوندرز في المساء لأخـــذ خطاباتها الغرامية أو وضعها .. أمـــا الآن فهيا بنا الى سالجستر تراس .. ولكن دعنا نحضر دوجرتي أولا .

وكان الأصيل قد أرخى على الكون اهدابـــه الوردية ، عندما هبط الرئيس من السيارة يتبعـــه دوجرتي ثم أنا .. وكانت تنتظرنا هنـــاك انباء سارة ، إذ ان الأمر الذي اصدره كولت منذ الليلة الماضية بالبحث في قاع النهر قد اثمر ، فقد وجـــد فيه الغواصون صندوقاً مليئاً بآلات النجارة جميعاً ، ومسدساً ، ولفافة عظيمة من قماش سميك داكن .. فسأل كولت المفتش فيجلي ان كان قد فحص المسدس، فقال : أنه من طراز سميث عيار اثنين وعشرين ، ولا تزال به اربع رصاصات .

فأمر كولت بارسال المسدس إلى المركز الرئيسي لفحصه والتحقيق من أن نمرته مقيدة بالسجلات ، ثم من مطابقته للرصاصتين اللتين استخرجتا من جثتي القتيلين .

وأشار كولت إلى اللفافة الكبيرة بعد ذلك فقال فيجلي :

ـ انني لم افحصها ، ولكنها قطعة من القماش المشمع السميك كبيرة الحجم ..

ـ هل تكفي لتغطية أرض حجرة فسيحة ؟

ـ نعم يا سيدي الرئيس ..

فأمر كولت باحضارها إلى داخل المنزل ، حيث تولى الرجال وضعها في حجرة الاستقبال المطلة على النهر بالطابق الأول ، فاذا بهـــا تطابقها كل المطابقة .. وعندئذ غمغم كولت :

ـ الآن عرفت كيف لم نعثر على آثار دماء لأول وهلة .. ولولا ان الماء قد محى آثار الدماء وبصمات الاصابع عن هذا المشمع وعن صندوق آلات النجارة ، لكان لهذه الآثار اهميتها .. ومع ذلك فلنحاول فحصها .

وسرعان ما أرسلت هـذه الأشياء أيضاً الى المركز الرئيسي .. وفي الوقت نفسه دوى جرس التليفون فتناوله كولت ، وعندئذ سمعنا الغـازا ومعميات في اجاباته :

ـ هاللوا ! نعم .. المفتش لنجل ؟ لقد أحسنت يا صديقي ؟ من الذي انبأك بهذا ؟ مندوب شركة التأمـين ؟ نورفولك ؟ يجب التحقق من ذلك للفور .. اتصل ببوليس نورفولك تليفونيا واطلب الى رئيسه عن لساني ان يذهب لاستجواب الطبيب والممرضة .. كذلك قل لهولاندر ان يأخـذ طائرته ويسرع إلى نورفولك لاستكمال التحقيـق .. وأمره بأن يتصل بي تليفونياً في أية ساعة ، إذا اهتدى إلى أي شيء جديد هناك ..

ولم يطق دوجرتي صبرا ، فسأل الرئيس عما هنالك ، فأجابه :

ـ انني اتبع أثراً جديداً يا عزيزي .. وقد لا يؤدي إلى أية نتيجـة ، ولكنني اقسمت ألا أهمل شيئاً في هذه القضية .

وفي تلك اللحظة دخل أحد المفتشين مهرولاً وهو يقول :

ـ لقد وجدت شاهد عيان لمصرع بيزلي سوندرز يا سيدي الرئيس !

- ٧ -

احتاج كولت الى دقيقتين كاملتين ليدرك ان المفتش كان مغالياً في اهمية النبأ الذي أتى به ، فانه لم يجد شاهد عيان للجريمة نفسها وانما وجد امرأة لشهادتها قيمة بالغة الخطورة حتى ان دوجرتي لم يتمالك زمام أعصابه ، وهم ان يصدر أمراً بالقبض على من جاء ذكرهم في تلك الشهادة .

وكانت هذه المرأة هي صاحبة مشرب الشاي .. فقد ظل المفتش طول اليوم يعتصرها حتى أضافت إلى اقوالها السابقة اشياء جديدة .. وسرعان ما أمر كولت باحضارها ليسمع شهادتها بنفسه ، فاذا بامرأة فارعة الطول ضخمة الجسم لعلها من نسل العمالقة انفسهم ، تجيب على اسئلة كولت في صراحة ووضوح دون مداورة أو محاورة .

وتتلخص هذه الشهادة في ان بيزلي وايفلين سوندرز كانا يترددان على حانوتها كثيراً خلال بضعة الاعوام الماضية ، وكانت تسمعهما يتبادلان عبارات الحب والهيام ، بل لقد سمعت القس ذات مرة يعد ايفلين بأنه سوف يجعل منها سيدة عظيمة ليس لها إلا أن تأمر فتطاع .. كما سمعته يعرب لها عن أحزانه ، بعد ان اكتشفت أسرته سر علاقتهما حتى لقد خيره جيرالد كرتنوود بين منصبه وبين ايفلين ..

أما ما رأته ليلة الأمس فكان مشهداً عجيباً .. وصفته بقولها :

ـ انني استطيع من نافذة حجرتي أن أرى حديقة سانجستر تراس ..

وكان الأمس يوماً شديد القيظ فاغلقت المشرب مبكراً ، حوالى الساعة الحادية عشرة ، وجلست بجوار تلك النافذة استقبل نسيم النهر لعله يلطف حرارة الجو قليلا .. وفي تلك اللحظة رأيت جماعة من الاشخاص مجتمعين في فناء المنزل رقم ١٣ ، فأدهشني ذلك لعلمي ان مستأجري هذه المنازل قد سافروا إلى مصايفهم ، وكان المجتمعون لا يثيرون ضجة بل لقد خيل الي انهم يتحادثون همساً ويروحون ويغدون في خطوات خفيفة ، وفجأة ابتعد أحدهم ودنا من مصباح قوي الضوء اعتاد الحارس ان يضعه كل ليلة ، وعندئذ سقط الضوء كله على وجه تلك المرأة ، ورأيت ملامحها جيداً كأننا في رابعة النهار ، ولم أعرفها وقتئذ ، إذ كانت غريبة عني لم أرها من قبل ، ولكنني منذ ان قرأت الصحف ورأيت الصور التي نشرتها عرفت هذه المرأة جيداً .

ـ هل انت واثقة مما تقولين ؟

ـ كل الثقة ، فقد كانت المرأة زوجة القس نفسها ، مسز تيموثي بيزلي !.

فقال دوجرتي متجهما : هل تقدرين خطورة شهادتك هذه يا سيدتي ؟ انه اتهام صريح ..

ـ اتهام مسز بيزلي بقتل زوجها وايفلين سوندرز ؟ معاذ الله ! انني أجهل من الذي ارتكب هذه الجريمة يا مستر دوجرتي ، ولكنني فقط رأيت مسز بيزلي في حديقة المنزل ليلة الامس .

فسألها كولت : اتذكرين ما الذي كانت تريده ؟

ـ نعم .. كانت ترتدي معطفاً طويلا داكن اللون ويخيل الي ان على ياقته وأكامه شيئاً يشبه الفراء .

فتبادلنا النظرات معا إذ لم تكن الصحف قد ذكرت شيئاً بصدد عن

المعطف الملوث بالدماء ، مما يدل على صدق المرأة ، إذ ان مثل هذه الأمور الدقيقة لا يمكن اختلاقها .

وطلب كولت إلى المرأة ان تنتظر قليلاً في الحديقة ، ثم طلب الينا ان ترافقه إلى شاطىء النهر حيث جلسنا على مقعد حجري كبير ، فبدأ دوجرتي يقول وهو يفرك كفيه ابتهاجاً :

— يخيل إلي ان القضية قد بلغت نهايتها !

— لعلك تعني ازدادت غموضاً ؟

— كيف ذلك؟ لم يبق في رأيي إلا أن نواجه مسز بيزلي بهذه الشاهدة . وبعدئذ سوف أعرف كيف انتزع الحقيقة من آل كرتنوود المختالين المتكبرين .

— اخطأت يا عزيزي . فان الكولونيل باول لن يعدم وسيلة لتجريح شهادة هذه المرأة ، وفضلا عن ذلك فانها تتعارض مع بعض الحقائق التي نعرفها ، فقد رأت الشاهدة مسز بيزلي في الساعة الحادية عشرة على حين ان طلقات الرصاص كانت في التاسعة إلا ربعاً ، ثم هل لك ان تذكر لي شيئاً من بواعث الجريمة ، أو تصور لي كيف وقعت كما تبدو لك ؟

— انك تعلم أنه لا تزال تنقصنا بعض العناصر ، ولكني اعتقد ان ما في يدنا الآن يكفي للحصول على اعتراف من آل كرتنوود .

— ان ما بيدنا لا يفيد شيئاً ، ثم ما هو تماماً ؟ المعطف أقوال هذه المرأة التي تدير مكاناً مشبوهاً ؟ كلا يا دوجرتي ، افلك لا تستطيع بهذه الأشياء أن تقهر البزابيث كرتنوود وأخاها وانما تلزمنا أدلة حاسمة .

— يخيل إلي يا تاتشر اننا نملك هذه الأدلة ، فدعني الخص لك الوقائع

التي عرفناها ، فبيزلي له عشيقة ، وتعلم أسرته بالأمر فتعقد اجتماعاً تحظر عليه فيه رؤية هذه المرأة ، فيتظاهر بالخضوع ولكنه يستمر على علاقته بعشيقته ويدبران أمر فرارهما معاً، فيتصل القس بوكالات السفر، ويستخرج الجوازات اللازمة .

– مهلا ، اننا لم نجد إلا جوازاً واحداً باسم بيزلي فقط .

– هذا حق ولكن ربما كانت المرأة تريد الرحيل تحت اسم مستعار ، فلما اكتشفت الأسرة هذا الأمر ، بواسطة المخبرين الخصوصيين ، تأهبت لمنعه قسراً ، وفي الليلة المعهودة يلتقي العاشقان هنا ، ليذهبا الى المحطة . وتعلم مسز بيزلي ، فتخشى الفضيحة التي توشك ان تحـل بها وبالأبرشية كلها فتسرع مـع أخيها بدنجتون ويقوم بينهما وبين زوجها نزاع شديد فتدعو أخاها جيرالد تليفونياً ، حيث يخف اليها ويتشاجر مع بيزلي فيخرج مسدسه ويطلق رصاصتين فيقضي على العاشقين معاً ، وعندئذ يدرك آل كرتندوود مغبة ما وقع ويجدون قاربا فيضعون الجثتين فيه و..

– كفى ، إلى هنا وكفى يا عزيزتي دوجرتي ، فان قصتك قد تكون معقولة إلى هذا الحد ، ولكنك بدأت تتخبط في استنتاجاتك عندما أشرت إلى القارب فأرجو ان تفكر أولا في هذه النقط ، من هو الرجـل القصير الخجول الذي ابتـاع الخشب وأرسل البرقيـة إلى كراوس ؟ ولماذا القيت أدوات النجارة في النهر ، ومن الذي مد بساط المشمع في حجرة الاستقبال ليلتقي دماء الضحيتين ؟ ولماذا ذبحت ايفلين سودنرز « بعـد موتها » حتى كاد رأسها ينفصل عن عنقها ؟ ومن الذي كان مختفيـاً في الحجرة الصغيرة المجاورة ؟

وأخلد كولت إلى الصمت لحظة كان فيها دوجرتي يجفف عرقه وقد بدا عليه الخجل من تسرعه . على حين استطرد كولت :

– اني اتفق معك في الرأي بأن آل كرتنوود يعرفون عن هذه الجريمة أكثر مما يظهرون ولذلك ينبغي الا نهاجمهم إلا إذا كانت في أيدينا أدلة حاسمة ، أما الآن فالقضية مزيج من المتناقضات ، وكلما فحصها المرء ازدادت دائرة شكوكه ، وفي رأيي ان الجريمة قد دبرت وأعدت معداتها قبل وقوعها بمدة طويلة ، ولذلك سألت ايزابيل ان كانت أمها فقدت أحد المفاتيح ، فقد كنت أعلم ان مفتاحا قد سرق من ايفلين أو من بيزلي أو من شخص آخر ، اما من الذي سرقه ، وكيف ؟ فهذا مما أجهله ، وإذا شئت فهناك شبهات تنهض ضد كل من اتصل بهذه القضية ، فان سوندرز – مثلا – اخصائي في صنع القوارب ، وعلى علم بعلاقة زوجته بالقس ، كما ان شادويك يحب مسز بيزلي ، فلماذا لا يسعى الى الزواج من الارملة الثرية ؟ ليس ذلك فقط فانني إذا أردت فتحت لك افاقاً غريبة ، فهناك أيضاً بيسي ستروبر ، ومن المحتمل ان الغيرة كانت تنهش قلبها نحو ايفلين سوندرز .

فقاطعه دوجرتي : او ! انها فتاة عجوز – دميمة .

– نعم انها الآن كما تقول ، ولكنها لم تكن كذلك منذ خمسة اعوام ، فقد رأيت صورة لها لا تزال معلقة في مكتب القس ، تمثلها جميلة ساحرة مرحة ، وذات اناقة تحرك القلوب ، وقد تفقد المرأة سحرها خلال خمسة اعوام يا دوجرتي ، ولكنها لا تزهد في الدنيا إلى هذا الحد ، فتدع كل زينة ، وتهجر كل اسباب الاناقة النسائية ، وعلى الرغم من انها تربح الآن مرتباً كبيراً ، إلا أنها ترتدي ثياباً رثة قديمة ، فما الذي بدلها كل هذا التبديل ؟ ولماذا لا نقول انها كانت خليلة القس بدورها ، وان ارتكبت الجريمة بدافع الغيرة ، ولو أن أية امرأة لا يمكن ان تجد من رباطة الجأش ما يسمح لها بتنفيذ مثل هذه الجريمة الوحشية ؟

فغمغم دوجرتي :

ـ انك على حق يا عزيزتي ، ولا تزال القضيـة غامضة كل الغموض ، فما الذي تراه الآن ؟

ـ اود اولا ان اعرف نتائج بعض المهام التي بعثت رجالي من اجلها ، كما يهمني ان اعرف من الذي انبـأ شادويك بالعلاقة الغرامية بين القس وايفلين ، كذلك اود ان اعلم من خبير البصمات من هو الجاسوس الذي كان يفتح خطابات العاشقين ويقرأها .

ـ وماذا تريدني على ان افعل خلال ذلك ؟

ـ ان رأيـك في مواجهة مسز بيزلي بالشهادة رأي عظيم ، فانقسم العمل بيننا يا دوجرتي ، تتولى انت آل كرتنوود ، واقوم انا بما تبقى .

وبينما كان الصديقان يتصافحان قدم المفتش لنجل مسرعاً فقال : لقد وجـدت نمرة المسدسات بالسجلات يا سيدي الرئيس ، وامكننـا ان نعرف صاحب المسدس الذي ارتكبت به الجريـة ، فهو ملك جيرالد كرتنوود .

فصاح دوجرتي ، وقـد هده ذلك النبأ الذي يؤيد نظريته على طول الخط ، بينما استطرد لنجل قائلا :

ـ كما اننا وجدنا هـذا في قاعة الاستقبال في الصباح ، ونسيت ان اقدمه اليك .

ووضع المفتش شيئاً في يد كولت ، راح هذا يتأمله برهة ، ثم تشممه ، واضاء مصباحه الكهربائي ، فاستطعت ان ارى في يـده قفازاً من الجلد اسرع بوضعه في جيبه .

وبعـــد ان انصرف دوجرتي والشاهدة تحول كولت نحو لنجـــل فسأله :

ـ هل عرفتم صاحب القفاز ؟

ـ نعم ، فقد رآه الكولونيل باول بعد ظهر اليوم ، وهو الذي ارشدني إلى الحرفين الاولـــين من اسم صاحبه ، منقوشين في داخله :. وهما .. ت . ب ..

وكان صوت كولت يفيض بالانفعال والسرور عندما تحول نحوي قائلا :

ـ ان هذا القفاز يقدم لي الدليـل الذي كان ينقصني يا توني . ذلك الذي كنت ابحث عنه عبثاً من بادىء الأمر .. وهأنذا قد بـدات ارى كل شيء في وضوح .. ولكن الوقت متأخر الآن فهيا بنا الى منزلي .

* * *

وما ان خلوت مع كولت في قاعة المكتبة حتى اشعل غليونه وقال :

ـ سوف تنام الليلة في حجرة الاضياف يا توني ، لأننا سنستأنف العمل في الصباح المبكر ، ولو انني اخشى الا استطيع النوم الليلة لكثرة مـا يختلط في رأسي من الافكار .. ففي هذه القضية المشؤومة تهدم كل نظرية النظرية الأخرى ، بينما هذه النظريات جميعاً تتعارض مع الحقائق المعروفة .. وصدقني يا توني ان تصوير دوجرتي للجريمة ، رغم ضعفه ، قد أثر فيَّ بما يبدو فيه من شبه بالحقيقة ، وانه لشيء مروع ان يضطر المرء الى الارتياب في امرأة بأنها ارتكبت مثل هذه الجريمة المتسمة بطابع الجرأة والوحشية .. وسوف نقض مضجع اليزابث بيزلي ومعطفهـا الملوث بالدماء ، على الرغم من ان صوتاً عميقاً يهتف بي من قرارة نفسي بأنها بريئة كل البراءة .

ولم أكد افتح فمي لأعلق على هــذا القول حتى قرع جرس التليفون فأسرعت أتناوله ثم قلت وانا لا اخفي دهشتي : انــه بوليس نورفولك يا سيدي . .

واصغى كولت برهة ، وعلى محياه دلائل الاهتمام ، ثم صاح بغتة :

— ماذا ؟ سم ؟ هل انت واثق من ؟ متى ؟ يناير ١٩٢٧ ؟ هل لــك يا عزيزي ان تبعث لي بملف هذا الموضوع مع الكابتن هولاندر : قــل له انني انتظره في مكتبي في الصباح .. شكراً لك .

فنظرت الى كولت نظرة تساؤل ، وقد فهمت من تهدج صوته ان هذا الحديث التليفوني ذو أثر حاسم في القضية .. ولكني وقد نهشني الفضول بأنيابه الحادة ، رايت كولت يمد لي يده وهو يقول مبتسما : طابت ليلتك يا توني ؟

* * *

كنت في المكتب بجوار الرئيس منــذ الساعة التاسعة صباحاً ، فإذا بمستر شادويك يأتي بناء على طلب الرئيس ، فقال له كولت : انني لن اسألك إلا سؤالاً واحــدا يا مستر شادويك .. فمن الذي اطلعك على سر المحترم بيزلي ومسز سوندرز ؟

فأخرج الرجل من جيبه خطاباً قدمــه الى الرئيس في صمت .. فقرأه بصوت عال وإذا به : « مستر شادويك .. ان المحترم بيزلي على علاقــة اثيمة بايفلين سوندرز .. وإذا شاعت هذه الفضيحة فسوف تلبس طائفتنا عارا لا يمحى .. ومن حقــك ان تتحقق من هــذا الأمر .. فأسرع لأن أي تأخير من جانبك سوف يؤدي الى عواقب وخيمة قد تذهب إلى حــد القتل . .

— أحد أفراد الطائفة .

— هل وصلك هذا الخطاب بالبريد ؟

— نعم .. في شهر ابريل .

— شكراً الك يا مستر شادويك .. طاب يومك .

فلما انصرف الرجـــل وضع كولت الخطاب مع القفاز الذي وجد بالأمس في درج مكتبه ، ثم طلب إلى أحـد الجند ان يدعو مسز بازيل هوارتون .

وجاءت السيدة العجوز تتوكأ على عصا ، فاستقبلها كولت واقفـاً ، حتى إذا ما جلست بدت تدلي بشهادتها لتحمل الينـا مفاجأة جديدة .. فقد ذكرت انها لم تعـد تملك المنزل رقم ١٣ بسانجستر تراس ، إذ انهـا باعته ، وكانت قد ورثت هذا المنزل من ابيها ولكنها لم تقطنه إلا بعـــد وفاة بعلها ، بيد انها كانت كثيرة الرحلات والأسفار ، ففضلت ان تقيم في الفندق ، وتؤجره مفروشاً ، وسرعان ما وجد وكيلها مستأجراً قدم أجراً مناسباً وضمانات قوية ، ولم يكن ذلك المستأجر سوى مسز ايفلين سوندرز وأما الضامن فهو القس بيزلي ، وفي فبراير الماضي تلقت عرضاً لشراء المنزل بثمن مغر كان من الجنون أن ترفضه خصوصاً ان المشتري عرض ان يشتري الأثاث كله ، وان لا يطالب بالسكنى فيه إلا بعد انتهاء عقد مسز سوندرز، وقد تم البيع دون أن ترى المشترى ، ودفع اليها الثمن نقداً بواسطة أحـد الموثقين في شيكاغو نيابـــة عن عميله مستر دانيل داريل ، أما الموثق فيدعى بلدن .

وما ان انصرفت مسز هوارتون حتى اتصـل كولت برئيس البوليس في شيكاغو وطلب اليه ان يتحري لدى الموثق بلدن عن اوصاف شخص يدعى

دانيل داريـل ، اشترى المنزل رقم ١٢ بسانجستر تراس في شهر فبراير ..
ووعد كولت زميله بأن يرسل اليه باللاسلكي صور بعض الاشخاص لعرضها على موظفي مكتب الموثق لعل بينهم ذلك المشتري المجهول .

وسرعان ما استدعى كولت المفتش فيجلي وكلفه بأن يرسل إلى شيكاغو صور جيرالد وبادنجتون كرتنوود ، والكولونيل باول ، والبري شدويك ، وويلي سوندرز .

وفي هذه الأثناء كان سوندرز وابنه قـد حضرا تلبية لطلب كولت ، فقال هذا للفتاة :

— لقد سألتك بالأمس عما إذا كانت أمك قد شكت من فقد أحـد المفاتيح ، فهل تعتقدين ان أحداً ممن يترددون على منزلكم كان في وسعه أن يخفي هذا المفتاح ريثما يصنع مثله ؟

ومن الذي تشكين فيه أكثر من الآخرين ؟

— لست أدري يا مستر كولت ، ولكن لم يكن يتردد علينا إلا بعض صويحبات والدتي ، مثل بيسي ستروبر وايما هيكس وغيرهما من الفتيـات المرتلات ، ولكني لا استطيع ان اتهم واحدة بعينها .

— إذا أردت ان تنتقمي لوالدتك من قاتلها يا ايزابيـل ففكري جيداً فيما سأسألك عنه ، ألا يوجد شيء تعرفينه ولم تخبريني به بعد ؟

— بلى يا مستر كولت ، ففي شهر مارس او أبريل تلقت والدتي خطاباً غفلا من الامضاء ، لا ريب ان الذي كتبه شخص مجنون ، إذ كان ينصح والدتي بالحذر والتعقل لأن هناك من يحاول ان يدس لها السم .

فانتفضت ، ونظرت الى الفتاة ذاهلاً مشدوهاً .. فهذه هي المرة الثانية التي اسمع فيها كلمة (السم) .. سمعتها من كولت وهو يحدث زميله في

نورفولك ليلة الأمس وهأنذا اسمها الآن من الفتاة .. ففي أي طريق يسير التحقيق الآن ؟

وسألها كولت : واين هذا الخطاب ؟

ـ لقد أحرقته والدتي في الحال ، ففتح درج مكتبه وأخرج الخطاب الذي أخذه من شادويك وعرضه على الفتاة فقررت ان الخطاب الذي تعنيه كان محرراً بالخط نفسه ..

وعند هذا الحد دخل ويليامز ، خبير البصمات ليقدم تقريره للرئيس ، فاسرع هذا يصرف سوندرز وابنته .

ونشر ويليامز رسومه وصوره فوق منضدة كبيرة ، ثم بدأ يوضحها ، فقال :

ـ لدينا أولاً ثلاث مجموعات التقطت من فوق الكتب القديمة في الكنيسة ، احداها لبيزلي والثانية لمسز سوندرز اما الثالثة فللفتاة التي تدعى بيسي ستروبر .. وقد وجدت ايضاً بصماتها فوق وعاء الصمغ الذي أرسلته الي ..

فنظر الى كولت قائلاً : لقد عرفنا الآن ان بيسي ستروبر هي التي كانت تتجسس على العاشقين وتفتح خطاباتها فتقرؤها وتعيد لصقها .. فلماذا ؟..

ثم تحول الى ويليامز يسأله :

ـ هل وجدت بصمات على صندوق أدوات النجارة والأثقال الحديدية ؟

ـ وجدنا الكثير منها عليها .. وهي كلها بصمات المحترم بيزلي .

فهتف كولت يسأل في لهفة : والبصمات التي كانت مطبوعة على التراب في الحجرة الصغيرة المجاورة لحجرة الجريمة ؟ هل عرفت صاحبها ؟

وفي اللحظة نفسها قرع جرس التليفون ، فاضطررت للابتعاد على مضض تاركا كولت وويليامز يتأملان صور البصمات في اهتمام بالغ .. وكان رئيس بوليس شيكاغو يطلب التحدث الى رئيسي ، فأخذ يصغي لحظة ، ثم شكر زميله وأعاد السماعة إلى مكانها.. ولا ريب انه اشفق علي من نيران الفضول ، فقال : لقد استطاع زميلي ان يجلو نقطة هامة يا توني ، حتى قبل ان تصله الصور باللاسلكي .. فقـــد عرف موظفو مكتب بلدن مشترى منزل سانجستر تراس من الصور التي نشرتها الصحف ، ولم يكن سوى القس المحترم ثيموني بيزلي !

- ٨ -

وفيما كان كولت منهمكا في فحص صور البصمات مع ويليامز ، وقد بدأ واجما شارد الذهن ، أخطر بأن المفتش لنجل والكابتن هولاندر يطلبـان مقابلته ، فأسرع باستدعائهما حتى إذا ما جاء وكان التعب باديا في أسارير الطيار الذي راح يقول :

ـ لقد جئت لتوي من نورفولك يا سيدي الرئيس ، وانصرفنا في الحال الى العمل هنا ، المفتش لنجـــل وأنا ، فوجدنا ما كنا نبحث عنه ، ليس ذلك فقط ، وانما احضرناه معنا ، وقد نفذنا أوامرك بحذافيرهـا ، إلا أننا أحضرنا شخصين بدلا من واحد ، إذ أصرت المديرة على مصاحبتنا .

وكانت هذه الاقوال بالنسبة لي أشبه بالأحاجي والمعميات ، وسمعت كولت يسأل الضابط :

ـ أين هي الآن ؟

ـ في السيارة أمام الباب .

فنظر الرئيس في ساعته ثم قال :

ـ الساعة الآن الثالثة بعد الظهر ، فخذهما الى نزهة حتى الساعة السابعة ثم قدهما الى المنزل رقم ١٣ بسانجستر تراس ، ودعهما يصعدان الى الطابق العلوي مباشرة حيث تضعهما في الحجرة الصغيرة المطـلة على النهر ، وتظل

تحرس الباب بنفسك حتى يبلغك مستر أبوت تعلماتي ، وقد دعوت بقية الاشخاص للاجتماع في الساعة الثامنة ، وعليك يا لنجل ان تجلسهم في الطابق الأسفل بالحجرة الكبرى .

فلما انفردت برئيسي بعد لحظة لم يتسع لي الوقت لسؤاله عن هـذه الالغاز ، إذ هرع إلى التليفون فاتصل بمستر دوجرتي وطلب اليه يحضر آل كرتنوود جميعاً والكابتن باول الى سانجستر تراس في الساعة الثامنة مساء .

وما كاد يفرغ من هذا الحديث حتى التفت نحوي قائلا :

ـ سوف آخـذ على عاتقي استدعاء ويلي سوندرز وابنته وباقي من يخصهم الأمر ، أما أنت يا عزيزي توني فاني انصح لك بأن تنظم مذكراتك وتكتبها على الآلة الكاتبة ، إذ لم تبق إلا أربع ساعات قبل ان يرفـع الستار الأخير .

وظل كولت معي طيلة هـذه المدة حتى إذا ما انتهى من قراءة ما كتبته ، قال :

ـ لا يوجد إلا حل وحيد لهذه القضية الشنعاء يا توني .. وانهـا صورة الرحلة هي التي وضعتني على الأثر الصحيح .. ولكني كنت اتخبط في الظلام حتى رأيت ذلك القفاز في مساء الأمس ، وعندئذ بزغت الحقيقة أمام عيني سافرة ناطقة ، اتسألني لماذا ؟ لأن قفاز اليد اليمنى كانت به رائحة البارود، وأمامنا مهمة قاسية الآن يا توني ، ولكني لا أرى وسيلة أخرى أمامي ، فهيا بنا .

ودخلنا منزل الجريمة من بابه الخلفي ، فعلم كولت من أحد المخبرين ان جميع الاشخاص الذين أمر باستدعائهم قد حضروا وجلسوا في الطابق الاسفل ، وهم : مسز بيزلي وأخواهـا ، وويلي سوندرز وابنته ، والكولونيل باول

وبيسي ستروبر وايما هيكس والـيري شادويك ، وصاحبة مشرب الشاي وكراوس الحارس الليلي .. أما وكيل النيابة فينتظر بالطابق العلوي ، في حجرة الجريمة .

وارتقيت الدرج خلف رئيسي وقلبي يحدثني بأن كارثة داهمة على وشك الوقوع ، حتى إذا مـــا بلغنا قاعة الاستقبال بالطابق الأول كان مـيرل دوجرتي يذرعها ذهابا وجيئة في قلق ، فقابـــل كولت بهذه الكلمات : كولت ! اية مؤامرة جديدة تحوك خيوطها ايها العجوز ؟

ـ ألم أقل لك انني في صدد أثر جديد يقلب القضية رأساً على عقب ؟. ولكن ماذا صنعت اليوم مع اليزابت بيزلي ؟

ـ لا شيء ، فقـد ضيقت الخناق عليها وعلى أخويها فلم ينحرفوا عن أكاذيبهم السابقة ، ولكن هلا جلوت لي السر الآن يا كولت ؟ وهلا قلت لي لماذا جمعت كل هؤلاء الناس الذين ينتظرون في الطابق الاسفل ؟

ـ الواقع انني لا أدري بعد ما الذي سنخرج به من هـذا الاجتماع .. غير ان بعض القرائن الصغيرة أوحت الي بنظرية معينة ، أما هل هـذه النظرية صحيحة أم لا فستعرف ذلك معي في نفس الوقت .

فتنهد دوجرتي وقال : ومتى سيرفع الستار الأخير ؟

ـ الآن ، فيوجد في الطابق الاول ، أحد عشر شاهداً ينتظروننا .

وفي رأيي ان واحداً منهم فقط هو الذي نرجو ان نعرب منـه اسم القاتل ، وهذا الشاهد الرئيسي كان من سوء الحظ اننا أهملنا شأنـه من مبدأ الأمر ولم نعره اهتماماً كافياً .

ـ من ؟ بادنجتون كرتنوود ؟

ـ كلا ، بل بيسي ستروبر ، وانني أعلق أهمية عظمى على هـذه الفتاة التي كانت جميلة انيقة ثم هجرت فجأة كل متاع الحياة والزينة ، فلماذا تصر على العمل مع ان أبويها في حالة ميسورة وفي وسعها ان يمولاهـا ؟ واين تذهب نقودها ؟ انني شديد الرجاء في أن نجد في الاجابة على هذه الاسئلة شعاعاً منيراً يضيء لنا الطريق في هذه القضية ، فهل لك يا توني ان تأمر باحضارها ؟

وكانت السكرتيرة السابقة المحترم بيزلي ترتعد فرقاً وهي تجتاز باب الحجرة التي ارتكبت فيها الجريمة وما لبثت ان تهاوت على المقعد الذي قدمه اليها كولت وهي تلقي حواليها نظرات ملأى بالذعر والفزع ، وبـدأ كولت يقولها لها في لين ودعة :

ـ لقد خطر لي يا مس ستروبر انك قد تستطيعين مساعدتي في اجلاء غوامض هذه المأساة الشنيعة ، ولذلك سألقي عليك بضعة اسئلة أرجو ان تجيبي عليها بصراحة رغم انها قد تكون ذات طابع شخصي بحت .. فهل تذكرين رحلة ذات يوم جميل من أيام الخريف منذ خمسة أعوام أو ستة ؟

ـ رحلة خلوية ؟ لقد قمنا بالكثير منها مع اطفال الابرشية ، ولكنني لا أرى علاقة .

ـ مهلا ، فانني سأذكرك بهذه الرحلة بالذات ، لقد كنت يومئذ ترتدين قبعة من الصوف تلائم وجهـك كل الملائمة ، وهي شبه بخوذة رومانية ، وكنت تضعين في قدميك حذاء عالي الكعب أنيق الشكل ، كما كنت تضعين في أذنيك نفس القرط القديم الذي تضعينه اليوم .

وكان لهذا الوصف البسيط الذي يرويه كولت نقلا عن الصورة المعلقـة في مكتب القس أثر شديد الوقـع على بيسي ستروبر ، فلمست شفتيها

ترتعدان ، وعينيها ساهمتين شاردتين ، وظلت برهة لا تقوى على الإجابة ، وأخيراً غمغمت : ربما ففي ذلك الحين كنت لا أزال في مقتبل العمر اعنى بهندامي ، ولكن لماذا تحدثني عن ذلك الآن ؟

ـ لقد كنت جميلة وقتئذ ، ومع ذلك فقد تغير فيك شيء بغتة ، ولست اعني ان جمالك ذوى فجأة ، كلا .. بل انك انصرفت دفعة واحدة عن الزينة والتجميل ، وفقدت كل رغبة في الظهور بمظهر الشباب والفتنة .

انني اسألك للمرة الثانية يا مستر كولت ، لماذا تقول لي هذه الاشياء اليوم .

لقد تبين من تحرياتي لدى اصدقائك ان هذا التبدل الفجائي اعتراك منذ اليوم الذي عدت فيه من رحلتك الطويلة فوجدت ايفلين سوندرز قد حملت حملك عند المحترم بيزلي .

وكانت الفتاة تصغي لهذه الكلمات وهي تحدق في الفضاء أمامها ، لاهثة الأنفاس ، وما لبثت أن أجابت : لقد كنت مريضة وأشار علي الطبيب ان امتنع عن العمل ، ومنذ ذلك الحين ساءت صحتي فلم تصلح بعد ذلك ، ولكن ما علاقة هذا كله بالقضية ؟

ـ متى تركت مركزك كسكرتيرة للقس بيزلي .

ـ منذ نحو خمس سنوات ، كنت مريضة وفي حاجة إلى الراحة ، وقد نصحني هو نفسه بالرحيل .

ـ إلى اين ذهبت ؟

ـ لدي اصدقاء لي في دنفر ، كلارا كولبي وزوجها .

ـ ثلاثة أشهر أو أربعة .

ـ لا ريب انت كنت تعرضين نفسك على طبيب هناك ، فماذا قال عن مرضك ؟

ـ انهيار عصبي ، وفقر دم .

فنهض كولت وسار نحوها سيراً وئيداً ، ثم قال :

ـ لست أريد ان أجرح شعورك يا مس ستروبر ، ولكن اما كنت تكرهين تيموثي بيزلي ؟

ـ كلا .

ـ انني أعرف انك كنت تقرأين الخطابات التي كان يتبادلها مع ايفلين سوندرز خفية ، وقد كتبت الى شادويك منذرة ، والى ايفلين محذرة من خطر يتهددها ، فلماذا ؟ يجب ان تجيبي على هذه الاسئلة .

ـ لا يمكنني .. ومع ذلك فاني لا افهم .

فمضى كولت نحو الحجرة المظلمة وفتح بابها على سعته قائلاً : واكثر من ذلك فاني استطيع ان أريك الآثار التي تركتها اصابعك على جدار هذه الحجرة .

فهتفت الفتاة في صوت مبحوح وقد اتسعت حدقتاها رعبا :

ـ كلا .. كلا .. يا الهي ! رحمة بي ، دعني أذهب يا مستر كولت .. دعني .

ولكن الرئيس استطرد وهو يمسك بكلتا يديها ؟

ـ انك تخفين عني شيئاً ، واني على يقين من ذلك ، فصارحيني بالحقيقة

ـ كلا .. كلا .. لن اقول لك شيئاً قط .

ومدت ذراعيهـــا إلى الإمام مستنجدة ثم انخرطت في البكاء فتركها كولت برهة قبل ان يقول مستطرداً : انك لم تذهبي إلى دنفر ، بل إلى نورفولك .

فكفت الفتاة عن النحيب بغتة ، وراحت تحـــدق النظر إلى كولت كالمصعوقة ، فأردف :

ـ لا جدوى من الكذب يا مس ستروبر ، اقتفينا أثرك منذ بدء التحقيق وعرفنا أشياء كثيرة عنك ، منها انك تفترين على نفسك لأن أعباء باهظة تثقل كاهلك .

ـ أتوسل اليك ان تكف عن ذكرها يا مستر كولت ، فليس ذلك من العدل في شيء ، لقد أرهقت نفسي بالعمل وأفنيت فيه قواي دون ان أمتنع عن أية تضحية .

ـ ألا زلت تصرين على أنك لا تكرهين القس بيزلي ؟

ـ اقسم انني لم ابغضه قط .

ـ حتى بعد أن حاول قتلك ؟

ـ ما الذي يدعوك إلى هذا القول ؟ انني لا أفهم ما تعنيه .

ـ لقد أعطاك بيزلي عقاراً ، ولكنك لم تتناوليه ، وخيراً فعلت ، إذ كان سما زعافاً ، هل تجرئين الآن على الانكار ؟

ـ رباه ! رباه ! رحمة بي .

وعاد كولت يمسك بكتفيها في قوة وهو يقول :

ـ انني لا أريد أن أعذبك يا صغيرتي ، ولكن ليس من حقك ان

تناهضي القانون ، واني اسألك للمرة الأخيرة : هل انت على استعداد لأن تخبرينا بما تعرفينه عن هذه الجريمة ؟

ــ كلا .. لا استطيع .. افضل الموت ..

وعندئذ سار كولت الى الباب ففتحه ونادى المفتش لنجل : ثم قال للفتاة : هل لك ان تنظري الى هذا الباب يا مس ستروبر ؟

فأطاعت التعسة ورفعت عينيها لترى أمامها امرأة طويلة تمسك في يدها بطفل صغير في نحو الرابعة من عمره ذي شعر اشقر مجعــد ، كان يفرك عينيه وهو ينظر الى كولت في حيرة دون ان يرى أحداً غيره إذ أغلق الباب فجأة فحجب عنا المرأة والغلام .

وكان بيسي ستروبر قــد اندفعت الى الامام كنمرة موحشة ، ولكن كولت تلقاها بين ذراعيه وهي تصيح كالمجنونة : ولدي ، ولدي ، مــاذا تريدون ان تصنعوا بصغيري؟

ــ فحملها كولت إلى الأريكة.. وعندئذ كفت عن النضال بغتة وظلت برهة جامدة بين ذراعيه بلا حراك ، بينما كان يقول لها في رفق :

ــ لا تخشى شيئاً يا ابنتي ، فان ابنك في أمان بــين يدي البوليس .. ولكن ماذا عسى ان يصيبه إذا اضطررت إلى القبض عليك ؟ فكري جيداً في مستقبل ابنك ، واذكري لي الحقيقة ، فغمغمت الأم التعسة : تعرفون كل شيء .

كانت بيسي ستروبر ، وهي تروي لنــا قصتها ، لا تناضل في سبيل نفسها ، وانمــا في سبيل ابنها ، فقد وعدها كولت بأن تذهب اليه متى فرغت من قصتها ، وعندئذ قوي عزمها ، وجلست على الأريكة تنظر الينا

واحداً بعد الآخر ، وقد شحب وجهها حتى حاكى الأموات ، وفي صوت خافت متهدج بدأت تقول :

عندما غدوت سكرتيرة للمحترم بيزلي ، كنت أعبده ، دون ان يكون لي مطمع سوى ان أعمل من أجله ، وأعيش في ظله ، فما ان مضت أيام قلائل ، حتى أدرت أنه لم يكن سعيدا في داره ، إذ كانت مسز بيزلي تدخل عليه في المكتب بين لحظة وأخرى لتملي عليه أوامرها ، وتفرض عليه آراءها . ولكنه رغم ذلك لم يكن يفكر في الانفصال عنها وهي شريكة حياته ، وشريكته في مطمحه الوحيد وهو ان يغدو مطراناً ، ولكني وأنا البريئة التعسة وقتئذ ، خلته يعاني خشونة هذه المرأة وقسوتها ، ويحتاج الى من يوليه عطفاً وحناناً ، وانت تعرف إلى اين قادتني هذه الأوهام وكنت في سن ادرك معها حقيقة الأمور ونتائجها ، فلم أفكر لحظة في ان أعكر صفو تلك الأسرة ، ولم أطمع البتة في الزواج من القس ، بل كانت كل سعادتي في ان أعيش بالقرب منه ولكنني كنت من البلاهة بحيث ظننت أن ذلك يمكن ان يدوم طويلاً ، وذات يوم واجهت الحقيقة الواقعة ، وتبينت انني سوف أغدو أما ، فأخبرته بذلك ، ولكنه تلقى النبأ على اسوأ ما يتلقاه انسان ، ومضى الى حد اتهامي بأنني غدرت به لأضعه في مركز دقيق ، وليمكنني ان أملي عليه إرادتي ، ومنذ ذلك اليوم بدأت متاعبي ، ولم تمض أيام قلائل حتى وضع في يدي علبة من الحبوب قائلا انها سوف « تصلح الأمور » فقبلتها منه دون اعتراض ، ولكني في قرارة نفسي كنت قد عولت علي ان لا آخذ شيئاً منها ، لا ريبة أو شكا في حقيقة مقصده ، ولكن لانني أردت هذا الجنين ، ثمرة حبنا العظيم الباهر ، فما الذي ينبغي لي إذا أنا قتلت ذلك الغلام ؟ لا شيء ، في حين انني كنت اشتهي ان أغدو أماً رغم بيزلي ورغم كل شيء .

وأخبرته انني افضل مغادرة المدينة ، وأخذ إجازة طويلة ، فنصح لي

بالرحيل بلا ابطاء ، وكان فرحه بهذا القرار عظيما ، رغم محاولته اخفاءه ، سافرت إلى نورفولك حيث ظللت الى ان وضعت ابني ، وكنت اتحدث مع الممرضة ذات يوم ، فأخبرتها عن الحبوب التي كنت أريد ابتلاعها فطلبت ان تراها ، ولا ريب ان رجالك قد تحدث الى هذه الممرضة يا مستر كولت فانها بعد قليل اخبرتني بأن كلا من هذه الحبوب تحوي جرعة كبيرة من السم تقضي على المرء بعد ساعات قلائل ، وكان ابني يرقد في مهده الى جانبي ، عندما أغمي علي ، ولا أدري كم لبثت على هذه الحال ، ولكنني عندما أفقت ظللت طويلا مسلوبة اللب افكر في عمق الهاوية التي كنت على وشك ان أتردى فيها ، وفي ذلك اليوم ايضاً تبينت مدى نذالة الرجل الذي أحببته ، وشكرت الله إذ خرجت على قيد الحياة من هذه المغامرة الفظيعة ، فلما عدت إلى نيويورك أودعت ابني دارا خاصة لكفالة الطفل ، ورحت ابحث عن عمل لنفسي حتى استطيع الانفاق عليه دون ان يعرف ابواي شيئاً .

وكانت ايفلين سوندرز قد حلت محلي لدى المحترم بيزلي ، كما انني لم انقطع عن الكنيسة ، وكانت أول مرة ذهبت بعد عودتي في أحد من شهر فبراير ، فجلست في مكاني المعهود ، ورآني القس في اللحظة التي بدأ فيها صلواته ، فاجفل كأنه رأى شبحاً ، فانه عندما انقطعت أخباري كان قد اطمأن الى موتي ، وما كان ينبغي ان يخشى شيئاً من ناحيتي ، لأنني كنت قد عولت على ألا اتدخل في شؤونه ، حتى بعد أن أدركت ان ايفلين سوندرز قد حلت محلي في كل شيء ، ولا ريب انك تفهم ما أعنيه .

وكان أول ما خطر لي هو ان أحذر ايفلين ، ولكنني عدلت عن ذلك لعلمي انها امرأة متزوجة وليس لي ان اتدخل في شؤونها ، فظلت الحياة تمضي هادئة ناعمة أكثر من سنتين بالنسبة لنا جميعاً ، وكنت قد اعترفت

لوالدي بالحقيقة ، فأرادا ان يتبنيا الطفل حتى يمكن ان يعيش في منزلنا وفي الوقت نفسه كان بيزلي وعشيقته الجديدة ينعمان بحبهما في حذر وحرص، ولم أكن أفكر فيهما البتة عندما تسرب سرهما فجأة ، واضطرت ايفلين الى ترك منصبها فخلفتها فيه ايما هيكس فسكتت الالسن ، وعاد الهدوء يشمل الابرشية حتى شهر فبراير الماضي ، ففي ذلك الحين علمت ، بأمرين تبينت فيهما ما ينذر بالخطر الداهم ، أولهما ان اسرة القس كانت تسعى حثيثاً لتحصل له ترقية كبيرة ، والثاني ان ايفلين كانت تظن نفسها حاملا ، ولم يكن سرا ان ويلي سوندرز ، منذ ان أصيب بذلك الحادث الذي قصم ظهره من أعوام مضت، لا يمكن ان ينجب اطفالا، فاذا وضعت ايفلين طفلا كانت فضيحة مدوية في الابرشية كلها .

فسألها كولت : وكيف علمت ان مسز سوندرز تظن نفسها حاملا مع ان الطبيب أثبت فيما بعد انها لم تكن كذلك ؟

— كنت ذات يوم أهبط الدرج الصغير خلف الأرغن فسمعتهما يتحدثان عن هذا الأمر دون ان يراني ، وما كان لي ان اتدخل لولا ان رحت ارتجف كلها فكرت فيما تتعرض له ايفلين من خطر ، فقد أراد بيزلي ان يدس لي السم لانني كنت حاملا ، ولا ريب أنه سيعيد الكرة مع تلك المنكودة ! وعندئذ كتبت خطابا الى مسز شادويك ، وآخر الى ايفلين ، وقد كان ذلك طيشاً مني ، ولكنني بهذه الوسيلة انقذ ايفلين دون أن يشك أحد في امري ، وبعد قليل اخبرني ايما هيكس انها تعتقد ان بيزلي وايفلين يدبران خطة للفرار معاً ، وكنت أعرف التعس جيدا بحيث أدرك أنها خدعة منه ، ووسيلة لكسب الوقت ريثما يعد في هدوء عدته لعمل حاسم ، وإذا كان قد أخذ تذكرة واحدة على الباخرة فلنفسه كي يركن الى الفرار إذا ما تحولت الامور ضده واضطر الى الهرب .

ودفعتني اقوال ايماهيكس الى التجسس على الحبيبين ، كنت قد رأيته

مرة ، وأنا مختبئة خلف الأرغن ، يضع خطابا في فجوة في الجدار خلف الكتب القديمة ، وقرأت خطاباتها جميعاً ، وأنا عازمة على التدخل إذا ما أحسست بالخطر يهدد ايفلين، وانتهزت فرصة زيارتي لها ذات مرة فأخذت مفتاح منزل سانجستر تراس وصنعت مفتاحاً مطابقاً له .

وبعد فترة من الرقابة الدقيقة ، فهمت من خطاباتها ما يقطع بصحة ما سمعته من ايما هيكس عن مشروعها للفرار ، فسوف تزعم ايفلين انها في حاجة إلى السفر عند إحدى شقيقاتها لتبديل الهواء ، ولكنها في الحقيقة كانت ستقابل بيزلي هنا .. ثم يبحران معاً على إحدى البواخر التي تقلع في الليلة نفسها الى الصين، وهذا ما كان يزعمه لها ، ولكنني كنت ارتعد لمجرد التفكير في المصير الهائل الذي ينتظر المرأة المسكينة منذ اللحظة التي تغدو فيها بمفردها ، بعيدة عن اسرتها ، بين براثن ذلك الوحش في منزل منعزل كهذا .

فاعتزمت أمرا ، ذلك ان أحضر انا الاخرى الى هذا الموعد ، لاحاول ان انقذ ايفلين من الخطر الذي تهددها ، وكنت اتوقع ثورة عنيفة من بيزلي عندما يراني اتدخل بينه وبين ايفلين وفي الوقت نفسه لاحظت ظاهرة غريبة غير مألوفة في الحجرة ، إذ كانت أرضها مفروشة ببساط كبير من المشمع الاسود السميك ، ولو أنني وقتئذ لم أدر لهذه الظاهرة كنهاً أو علة .

وكانت الساعة قد شارفت الثامنة عندما سمعت الباب الخارجي يفتح ، فانتابني بغتة ذعر هائل فظيع ، فقد حاول بيزلي مرة ان يقتلني ، فما فما الذي يمنعه من معاودة الكرة ؟ وغمرني العرق البارد ، وتخاذلت قواي، وغلبني الجبن عن تنفيذ ما هممت به ، فأسرعت أختبيء في الحجرة المظلمة، على ان انجو بجلدي عندما يغادران المنزل ، وكانت ايفلين تترنم في الطابق

الاسفل بصوتها الرخيم ، كأن الدنيا بأسرها تشاطرها ما هي فيه تلك اللحظة من سعادة وهناء ، ثم فتح الباب من جديد وسمعت صوت بيزلي يهتف « اين انت يا ايفلين ؟» فهرعت المنكودة اليه، وعندئذ سمعت رنين القبلات ثم وقع اقدامهما على الدرج .

وروعني ان وجدتهما يسيران صوب هذه الحجرة ، فحاولت عبثاً أن أوصد الباب ، ولكن كان بغير مزلاج وأبى الا ان يظل مواربا . فأيقنت أني في حكم الهالكين ، إذ لن تمضي لحظة حتى يكتشف الحبيبان مكاني .

وقاد بيزلي ايفلين نحو النافذة ، ثم سألها : « هل أحضرت الخطابات معك يا عزيزتي ؟ »

فأجابته : « نعم .. تلك التي احتفظت بها ، أما الأخرى فقد اتلفتها منذ بعيد ، ولكن لماذا طلبت مني ان أحضرها الليلة ؟ » ، فتناول الحزمة الصغيرة التي قدمتها اليه ووضعها في جيبه ، وقد أخذت منه فيما بعد عدا قطعة صغيرة من خطاب وجدتها أنت يا مستر كولت .

وبعدئذ تحول نحو صديقته . فبدا لي مظهره غريباً ، وتبينت في تلك اللحظة فقط أنه يرتدي قفازاً من الجلد على الرغم من أن الليلة كانت شديدة القيظ .. ثم قال ؟ هل تؤمنين بالله يا ايفلين ؟

ــ لماذا تسألني هذا السؤال وأنت تعلم انني مؤمنة كل الايمان ؟

ــ اذن اغمض عينيك ، واتلي بعض الصلوات في سبيل راحت نفسك .

فأبدت المسكينة دهشتها من هذا الكلام ، ولكنه عاد يقول : اتلي صلواتك كما قلت لك .

فارخت اهدابها ، وضمت يديها الى صدرها ، وكنت ارقب المنظر من

ثغرة البـــاب ، فلما أدركت حقيقة مـــا يجري أمامي ، كان كل شيء قد انتهى .

فبينا كانت المنكودة تغمغم بصلواتها ، محنية الرأس مغمضة العينـين ، مد تيموثي بيزلي يده في جيبه واخرج مسدساً صوبه الى قلبهـا ، ثم اطلق النار ، فهوت على الأرض وعلى شفتيها كلمة « أمين » وسط بركة من الدماء.

وكان الذعر قد بلغ مني كل مبلغ بحيث ايقنت انني لو أتيت بأقل حركة، فسوف اشاطر ايفلين سوفدرز نهايتها المروعة ، وظل بيزلي لحظة بلا حراك ثم القى المسدس من يده وركع بجوار ضحيته ليستوثق من موتهـا ، ولن انسى ما حييت تلك الابتسامة الشيطانية التي ارتسمت على شفتيه ، في هذه اللحظة التي قضاها ساكن الحس بجوار عشيقته .

وبعد ذلك استوى على قدميه ، ثم سار نحو باب الحجرة التي كنت بها ، فخيل الي ان نهايتي قد دنت ، ولكنه مر أمام الباب دون أن يقف.. وبعد قليل رأيته يعود ثانية ، وفي يده سكين كبيرة شديدة البريق ، وليس في طاقتي أو طاقة البشر ان يمحى من ذاكرتي هـــذا المنظر الهائل يا مستر كولت ، كلا ، بل انه ما من امرىء سبق ان وجد نفسه في حـــال كهذه الحال التي كنت فيها .

كان الوحش يلهث بصوت مسموع ، فأدركت غايته في مثل لمح البرق ، أدركت انه سوف يقطع الجثة اربا حتى يسهل عليه الخلاص منهـا ، وبهر عيني وميض السكين وهي تهوي على عنق ايفلين التعسة ، فما استطعت ان أكتم الصيحة التي انبعثت مني برغمي ، فأدار التعس رأسه سريعاً ، ونهض من مجثمه ، وراح ينظر حواليه وهو يزمجر كالوحش المتـــأهب للافتراس وكنت قد فقدت السيطرة على حواسي ، فاندفعت من باب الحجرة دون ان انقطع عن الصياح ، وأنا اتوسل اليه ان يكف عما يفعله ، وبوغت برآي ،

فشحب وجهه ، ولكنه ظل يرمقني لحظة بعينين جامدتين، ثم خطا خطوتين صوبي ، ففهمت أن ساعتي قد حانت .

ولكنني تذكرت ولدي ، فأمدتني هذه الذكرى بقوة عجيبة ، وكان المسدس تحت قدمي فتناولته في حركة خاطفة وأمسكت به بكلتا يدي ، وصوبته نحوه راجية ان يتراجع الى الوراء إذا كان متشبثاً بالحياة .

ولكنه ظل يدنو مني ، وقرأت في عينيه نية القتل ظاهرة جلية .. وعندئـذ اطلقت النـار يا مستر كولت .. فهوى كالصخرة الشماء فوق ايفلين .

وتوقفت بيسي ستروبر عن المضي في قصتها ، ووضعت وجهها بين ذراعيها وراحت تنشج نشيجاً اليماً .. استطردت بعـد قليل في صوت مبحوح :

— ولا ريب انني قد أغمي علي ، فلما عـدت إلى الصواب ، وجدتني أرقد بين جثتين ، كنت كأنني فريسة كابوس فظيع ، وخيل الي أنهما ايضاً سوف ينهضان من مرقدهما مثلمـا فعلت ، وجن جنوني ، فأسرعت الى التليفون ودعوت مستر جيرالد كيرتنوود للحضور سريعـاً الى رقم ١٣ سانجستر تراس حيث تجري أمور هائلة ، فلم تمض دقائق حتى كان هنا ..

فسألها كولت : هل أتى بمفرده ؟

— نعم .. فقدته إلى هذه الحجرة حيث ظل ينظر الى الجثتين دون ان يفوه بكلمة واحدة ، ثم أخذني إلى الطابق الأسفل ، حيث رويت له مـا حدث ، وفيما نحن هناك دوى جرس الباب الخارجي ، فانتابنا الذعر خشية ان يكون أحد الجيران قـد سمع طلقات الرصاص فدعا رجال البوليس ، وفي ذلك ضياعنا ، لأنه ما من أحد يمكن أن يصدق مـا نرويه ، ولكنه

لم يكن البوليس، وانما مسز بيزلي وأخاها بادنجتون . وكانت زوجة جيرالد قد سمعت الحديث التليفوني بينه وبيني فأخبرت اليزابث التي أصرت على الحضور بنفسها لترى ما يحدث في سانجستر تراس .

وغدونا اربعة الآن نتأمل الجثتين الغارقتين في الدماء ، فركعت مسز بيزلي على الأرض ونزعت ساعة زوجها وخاتم زفــافه ، وكانت ترتدي معطفاً طويلاً ، فلوثت الدماء جزءه الاسفل .

وتولى جيرالد القيادة ، فقال انه لا ينبغي ان يعرف أحـد قط في اية ظروف لقي المحترم بيزلي وايفلين سوندرز حتفهما .

ووجد القارب مخفياً بين الاعشاب تحت النافذة الخلفية ففهمنا جميعـاً الغرض البشع الذي أعد له .. وعلى الرغم من اعتراض الأرمـــلة ، تولى جيرالد وأخوه نقل الجثتين، الى الحديقة ، ثم طوى البساط، وغسل السكين ثم جر القارب الى الشاطىء ووضع فيه الجثتين .. وظللنا نعمل جميعاً أكثر من ساعة في إزالة كل أثر للمأساة ، فألقينا بالمسدس وصندوق آلات النجار في النهر ، وبساط المشمع ، ولعل اشد اللحظات ايلاماً هي تلك التي وثبت فيها هرة ايفلين الى القــارب ، بينما كان جيرالد يدفعه في النهر بعصاه ، وقبل ان نفترق ، اقسمنا جميعاً على ان يموت هذا السر معنا إلى الأبد .

وصمتت الفتاة لحظة ، ثم نظرت الى كولت في وجل وقالت : لقـد عرفت كل شيء يا مستر كولت ، فماذا انت صانع بي ؟!

فمضى رئيس البوليس نحوها ، وربت على كتفها، ثم أخذ يديها الباردين بين يديه وقال : يا ابنتي العزيزة.. انني اهنئك من كل قلبي اذ وجدت في نفسك الجرأة على ان تقصي علينا الحقيقة ، فدعي الأمر لي .

وفتح باب الحجرة ، وقاد الفتاة بنفسه الى حيث كان ابنها ، ثم عـاد فجلس ازاء دوجرتي وقال :

ـ ان مركز الفتاة سليم يا دوجرتي ، وسوف تبرىء المحكمة ساحتها إذ انها كانت في حالة دفاع عن النفس ، غير ان طفلها سيشب من الآن وهذه القضية تلازمه ، فما قولك في ان تسافر الفتاة به الى اوروبا ، على ان يظل اعترافها هذا محفوظاً بالسجلات السرية لادارة البوليس ؟

ـ لا بأس يا كولت . انك لست ممن يرد لهم طلب يا عزيزي .. لقد حفظت قضية بيزلي ـ سوندرز ، لعدم معرفة الفاعل !

ومع ان الصحف ظلت شهوراً تسلق ادارة الشرطة بالسنة حداد ، إلا ان كولت ظل صامتاً لا تحركه هذه الحملات وكان عزاؤه الوحيد انه ظل مدة طويلة يتلقى في مثل هذا اليوم من كل عام صورة غلام صغير ذي شعر اشقر مجعد تبدو في محياه علائم البشر والهناء .

[تمت]

كتب صدرت لاغاتا كريستي

موعد في بغداد
جريمة في العراق
القضية الكبرى
ساعة الصفر
الحب الذي قتل
المتهمة البريئة
نقطة الدم
جريمة في القصر
القاتل الخفي
غادة طيبة
مقتل السيد اكرويد
جريمة في وادي النيل
الجريمة الكاملة
جريمة في مطعم اللوكسمبورغ
الجريمة المستحيلة
الشيطان امرأة
جريمة الكوخ
جريمة على ضفاف النيل
اخطاء القضاء

مغامرات بوارو
جزيرة المهربين
رصاصة في الرأس
اعلان عن جريمة
الكأس الاخيرة
مرآة الميت
جريمة في بيت الطالبات
التضحية الكبرى
جريمة ملاك
سر الجريمة
الوصية المفقودة
ذات القناع الاسود
الرسائل السوداء
اختطاف رئيس الوزراء
جنون الانتقام
موعد مع الموت
القاتل والمقتول
الشبح القاتل

كتب صدرت

المتنكرة الحسناء		طانيوس عبده
مروضة الاسود		» »
ضحايا الانتقام		» »
ام روكامبول ١/٤		» »
كابيتان	ميشال زيفاكو	» »
عشاق فينيسيا ١/٢	» »	» »
بردليان ١/٣	» »	» »
الملكة ايزابو ١/٢	» »	» »
فرنسوا الاول	» »	نقولا رزق الله
دار العجائب	» »	» »
بعد الطلاق		» »
شقاء الغرام		» »
ضحية الجريمة ١/٢		» »
جناية بولونيا		» »
الوثاق القاتل		» »
خصم وحكم		» »
الجزاء العادل		» »
عاقبة الخيانة		» »
الناس بلاء الناس		» »
حرب السبعين		» »
المرأة المفترسة		جان دولاهير

لحظة ضعف	خليل حنا تادرس
القبلة علم فن دراسة	» »
ليلة من نار	» »
الزوج الاحتياطي	» »
امرأة تنتظر الحب	» »
الانتباه	البيرتو مورافيا
السأم	» »
امرأة من روما	» »
خطيئة امرأة	سومرست موم

General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
Bibliotheca Alexandrina